مجلة شهرية

نور المسيح
ΦΩΣ ΧΡΙΣΤΟΥ
يسوع المسيح الغالب

Issue No: 77 عدد:
January 2014 كانون ثاني

جمعية نور المسيح ، رقم: ٥٨٠٣٢٧٩١٤ ، ص.ب. ٦١٩ قانا الجليل ١٦٩٣٠
Nour Almasih / Light of Christ, Registered Society No. 580327914 - P.O.Box 619 , Cana of Galilee 16930, website:www.lightchrist.org

ميلاد ربنا وإلهنا ومخلصنا يسوع المسيح في الجسد

تتقدّم جمعية نور المسيح
بأحرّ التهاني والتبريكات

إلى غبطة البطريرك
كيريوس كيريوس ثيوفيلوس الثالث

بطريرك المدينة المقدّسة أورشليم وسائر أعمال فلسطين والأردن

بمناسبة عيد ميلاد ربّنا وإلهنا ومخلصنا يسوع المسيح بالجسد
في مغارة بيت لحم
وأيضاً بمناسبة بدء السنة الجديدة

آملين أن يمدّ اللّه بنعمه السماويّة إلى غبطتكم
ليتمّ بالتعاضد إيصال سفينة الكنيسة إلى ميناء الخلاص
من خلال إدارتكما الحكيمة لسدّة البطريركيّة
ومحبّتكم الباذلة لأبنائها
ورغبتكم الأصيلة لإضفاء المعرفة الرسولية والآبائية
لأبناء الكنيسة قاطبة

وكل عام وانتم بخير

لسنين عديدة ومجيدة يا سيّد

كلمة صاحب الغبطة بطريرك المدينة المقدّسة أورشليم

كيريوس كيريوس ثيوفيلوس الثالث

بمناسبة ميلاد ربنا وإلهنا ومخلصنا يسوع المسيح بالجسد. ٢٠١٣/١٢/٢٥ شرقي

«إنّ المسيح قد وُلدَ فمجّدوا. المسيح قد أتى من السماء فاستقبلوا. المسيح على الأرض فارتفعوا. ورنّموا للربّ يا جميع أهل الأرض. وسبّحوه بسرورٍ يا شعوب فإنّه قد تمجَّد» .

أيها الأخوةُ الأحباء. أيها المؤمنون ، والزوّارُ الحسنيّو العبادة .

قَدْ أشرَقَ اليومَ الشعاعُ البهيُّ ، **بعيد دُخول العذراء والدة الإله الفائقة القداسة والدائمة البتوليّة مَريم، إلى الهَيكل** . إنَّ هذا الشعاعَ البهيّ يبشّر مُسبقاً بسرّ تجسّد كلمة اللّه ربّنا وإلهنا ومخلصنا يسوع المسيح، من دماء العذراء النقية مريم ، حيثُ تَمَّتْ ولادَتُه العجيبةُ والمستغرَبَةُ في مغارة بيتَ لحمَ ، لتُصْبحَ هذه المغارةُ سماءً ، والمذودُ عرشاً شيروبيمياً. وذلك زَمَنَ الإمبراطور أغسطس قيصر ، كما يشهدُ الإنجيليُّ لوقا البشيرُ . (لو٢:١).

هذا الحدثُ الحقيقيُّ ، الفريدُ والوحيدُ ، لتجسّد كلمة اللّه يُعتبر الأساسَ الراسخَ والثابتَ للتاريخ المقدس، وخلاصةَ النبوءات والعهود والمواعيد التي أعلنها اللّهُ لأنبيائه القديسين منذُ البدء ، ليتوشّح التاريخُ العالميّ والبشريّ بمواعيد اللّه الخلاصيّة. لذا فالمبادرةُ الإلهيّةُ لتخليص الإنسان الساقط (**آدم الأول**) من عبوديّة الشيطان ، تَمَحْوَرَتْ حَول سرِّ التدبير الخلاصيّ بتجسد كلمة اللّه (**آدم الثاني**).

إن الإنسان خُلِقَ من اللّه بتشكيلة فريدة ومميّزة من نفس عاقلة (لوچوس ـ كلمة) فيها مَلَكات المنطق والحريّة من ناحية، مع جسد مأخوذ من تراب الأرض من ناحية أخرى ، لينفرد بهذه العطايا الإلهيّة متربّعاً على عرش المخلوقات الأرضيّة ليصبح تاجَ الخليقة قاطبةً. فهو يختلفُ عن باقي المخلوقات الأخرى غير العاقلة وعديمة الحريّة، فهو لا يخضع لروابط الغريزة المتملّكة في باقي الحيوانات، لكنه يتمتّع بموهبة العقل والنطق والتفكير . كما يؤكد ذلك علم الطب التشريحي .

لكنَّ سقوطَ الجدَّين آدمَ وحواءَ ، أدخَلَ الموتَ والفسادَ غيرَ الأصيلين إلى حياة الإنسان، فالجسدُ المأخوذُ من التراب أصبحَ خاضعاً لسلطان الموت والفساد، أما روحُ الإنسان المستمدّة من نفخة اللّه فهي خاضعة للقوانين الإلهيّة، وبالتالي أصبح الإنسان خاضعاً لدينونة اللّه العادلة كما يقولُ الرسول بولس في رسالته الى أهل رومية (رو٢:٥).

لكنَ حريّةَ الإنسان بالتعاضد الإلهي كفيلةٌ بالدخول إلى منهج التوبة. كما تقولُ الكلماتُ الربويّة: «لأنه ماذا ينفعُ الإنسانُ لو ربح العالمَ كلَّه وخسرَ نفسَهُ » (متى ١٦:٢٦).

إن الإنسان يُعتبر سرّاً غامضاً ، فلا حكمةَ اليونانيين ، ولا التكنولوجيا المتطورة في هذا العصر تستطيع أن تعطي جواباً لهذا السرّ غير المدرك، فسرّ الحَبل بتكوين الجنين في رحم الأم ، وسرّ الموت الغامض يبقيان خارجَ حدود إدراك البشر واستيعابه ، لكنَّ الجوابَ الشّافي، لهذا السرِّ الغامضِ والعظيم ، مستقرٌ في كنيسة المسيح المقدسة، التي تُعتبر جسد المسيح السريّ ، فالكنيسةُ هي محورُ مفاعيل الروح القدس، فرسالتُها مستمدّةٌ من روح المسيح إلى دهر الداهرين، كما يؤكد ذلك الأنجيلُ المقدسُ: «وأبوابُ الجحيم لن تقوَى عَليها» (متى ١٦:١٨).

إنّ الكنيسةَ هي مستودعٌ حيٌّ ، فيه تتمُّ الأسرارُ الإلهيّة وخاصةً سرُّ الإفخارستيّا، فهي تتألّق بالنّور الإلهي غير المنظور وغير المخلوق، الذي يحوي الطاقة الإلهية غير المخلوقة وغير الملموسة، هذا الشعاع الإلهيّ المنبثق ، العامل في الكنيسة، هو بدوره الطاقة الفعالة التي تُؤَمِّن للعالم اجمع ما يلزمه للإستمرار في كينونة وجوده. «لأننا به نحيا ونتحرّك ونوجَد»(أعمال ١٧:٢٨). فالعالم بوحدته مكوّنٌ من عالم منظور، وعالم غير منظور ، طبيعي، وما وراء الطبيعة (ميتا فيزقي Meta Physical).

إلاّ أن هذه الوحدة مرّت بانقسام ما بين اللّه الخالق والإنسان المخلوق لتنشىء هوّة بينهما، هذه الهوّة تمثّل الفصلَ والبعدَ والعداوة ، التي أوجدها الإنسانُ من خلال سوء استعماله لحريّته ، أي سقوطه بالخطيئة ، بإطاعة مشورة الشيطانَ ووعودهَ الكاذبة ، ورفضَ الطاعةَ والإنصياع لتعاليم اللّه المحيية.

إلاّ أن اللّه لأجل عظيم محبّته ، وكثرة رحمته ، طأطأ السماوات وانحدر آخذاً صورةَ عبد صائراً فَي شبه الناس ما خلا الخطيئة ، «أي صار اللّه إنساناً لكي يصير الإنسان إلهاً بالنعمة، حسب أقوال القديس أثناسيوس الإسكندري.» لهذا يشير أيضاً القديس يوحنا الإنجيليّ البشير قائلاً: «والكلمة صار جسداً وحلَّ فينا، ورأينا مجده، مجداً كما لوحيدٍ من الآب، مملوءاً نعمةً وحقّاً» (يو١:١٤).

أيها الأخوة الأحباء بالمسيح

عيد الميلاد المجيد ، هو مناسبة سارّة تذكّرنا بأنّ المسيح قد وُلِدَ اليوم ، أي زمن الولادة هو آنيّ لكل يوم، لذا علينا أن نقوم بواجب الإستعداد والتحضير لإستقبال ميلاد المسيح في قلوبنا وأكبادنا وخوالج نفوسنا، وذلك لأن عيد الميلاد المجيد ، ليس عيداً للأكل والشرب والبذخ والإسراف والتمتع بمطربات العالم وافراحه الدنيويّة، لكنهّ عيدٌ ينبض بالفرح الروحي ، لحقيقة تجسّد الكلمة ، إنّه الفرح غير الفاسد ، الخالد بديمومته، فنحن نحتفل بمحبّة اللّه القصوى التي أغدقها علينا، ليعيدنا ثانية لمجدنا الأول الذي فقدناه بالمعصية.

فالربّ الإله ينتظر منّا وبشوقٍ عظيم ، أن نرجع إليه بالتوبة الصادقة، حيث قلوبنا تتفطّر لإستقباله ، وتحنّ لخدره، فالمسيح كلمة اللّه المتجسد، ينتظر وبلهفة واشتياق، قرارنا واختيارنا النابع من نعمة الحريّة التي وهبها إيّانا الثالوث القدّوس لنختار وبمحض إرادتنا أن يملك على قلوبنا وأفكارنا ، ليجد فينا المسكن النقيّ الطاهر .

إنّ السيّد المسيح قد أتى من السماء لكي نستقبله، فنحن وكما تنطق الكنيسة بفم مرنّمها ، مدعوون لكي نرتقي بأعمالنا من الأرضيات ،إلى المواهب والعطايا السماويّة، من هوّة الفساد والموت ، إلى التمتّع بالخلود والحياة الأبديّة بالمسيح يسوع طفل المغارة الإلهيّ. آمين

وكل عام وانتم بخير

الداعي بالرب
البطريرك ثيوفيلوس الثالث
بطريرك المدينة المقدسة أورشليم

شذرات ميلادية للقديس يوحنا الذهبي الفم

فلما سمع هيرودس الملك اضطرب وجميع أورشليم معَه. فجمع كلَّ رؤساء الكهنة وكتبة الشعب، وسألهم أين يولد المسيح؟ فقالوا له في بيت لحم اليهوديّة. لأنه هكذا مكتوبٌ بالنبيِّ: وأنت يا بيت لحم، أرضَ يهوذا، لست الصغرى بين رؤساء يهوذا، لأنّ منكِ يخرج مدبّرٌ يرعى شعبي إسرائيل. (متى ٢:٣-٦)

القديس يوحنا الذهبيّ الفم
رئيس أساقفة القسطنطينيّة

...فاليهود (الكهنة ورؤساء الكهنة) دون أن يقصدوا صنعوا به خيراً، من حيث أنهم أظهروه، بينما هم أرادوا ألا يعلنوا عنه. أرأيت أيها المعلم الجاهل.

اولئك الذين يعلّمون لم يعرفوا، وبينما هم جوعى يقدمون غذاء للآخرين، وبينما هم عطشى يسقون الآخرين، وبينما هم فقراء يغنون الآخرين.

إذن تعالوا بنا نحتفل ونفرح.

بالحقيقة هو أمر عجيب أسلوب هذا العيد لأنه عجيب سبب الميلاد هذا، لأن اليوم حُلت رُبط الأزمنة البعيدة، إبليس خجل، الشياطين هربت، الموت بطل، الفردوس فُتح، واللعنة اختفت، الخطية طُردت بعيداً، الخداع ابتعد، والحقيقة عادت مرة أخرى، وكلمة التقوى انتشرت في كل مكان، أسلوب الحياة السماوي نبت في الأرض، الملائكة يلتقون بالناس، والناس بلا خوف يتحدثون مع الملائكة.

لماذا؟

لأن اللّه أتى إلى الأرض والإنسان صعدَ إلى السماء، واللّه بكليته يوجد على الأرض. وإذ هو الإلَه صار إنسانًا دون أن يتوقف عن أن يكون إلهًا. إذ هو الكلمة غير المتحول، أخذ جسدًا، نعم أخذَ جسدًا إنسانيًا. حتى أن ذاك الذي لا تسعه السموات، يستقبله المذود. حتى أن ذاك الذي يعول الكون، يأخذ طعام الأطفال من الأم العذراء.

وُلِدَ بالجسد لتولد أنت بالروح

للقديس يوحنا الذهبي الفم

يقول القديس بولس الرسول: «لأَنَّهُ هُوَ سَلاَمُنَا، الَّذِي جَعَلَ الاثْنَيْنِ وَاحِداً، وَنَقَضَ حَائِطَ السِّيَاجِ الْمُتَوَسِّطَ ، أَيِ الْعَدَاوَةَ.» (اف٢:١٤–١٥). الحق! إن المتجسد من العذراء نقض حائط السياج الحاجز، وصار الاثنان واحداً. تبدّد الظلام وأشرق النور وغدا العبيد أحراراً والأعداء بنين. زالت العداوة القديمة وساد السلام المرغوب من الملائكة والصدّيقين منذ القديم، لأن الأمر المدهش قد تمَّ، وهو أنّ ابن اللّه صار إنساناً، فتبعته الأشياء كلّها، المخلص يضع ذاته ليرفعنا، وُلِدَ بالجسد لتولد أنت بالروح. سمح للعبد أن يكون له أباً، ليكون السيد أباً لك أيها العبد. فلنفرح ونبتهج كلنا. لأن البطريرك «إبْرَاهِيمُ تَهَلَّلَ بِأَنْ يَرَى يَوْمِي فَرَأَى وَفَرِحَ» (يو٨:٥٦)، فكم بالحري نحن الذين رأينا الرب في الأقمطة! لذلك، يجب علينا أن نسرَّ ونبتهج بعظمة إحسانه. إنه لأمر يستحق الانذهال. لقد ساد السلام لا لمبادرتنا إلى الرب نحن الذين أخطأنا إليه وكدّرناه، بل لأن الساخط علينا نفسه قد شفق علينا.

«نَطْلُبُ عَنِ الْمَسِيحِ: تَصَالَحُوا مَعَ اللّهِ» (٢كو ٥:٢٠) إذ خلق العلي بنعمته وحدها الانسان وأعطاه الأرض أجمل مكان ليعيش فيه، ووهبه وحده العقل بين المخلوقات كلها، وسمح له برؤيته تعالى، والتلذذ بالحديث معه، ووعده بالخلود، وملأه بالنعَم الروحية حتى أن الإنسان الأول تنبأ؛ ولكنه بعد هذه الخَيرات كلها **رأى العدو أجدر بالايمان** ممن وهبه جميع ما ذُكر، فاحتقر وصية الخالق **وفضَّل** من كان **يعمل على هلاكه** بكل الوسائط. ومع ذلك فما أباد اللّه الارض كما تقتضي العدالة، لـمَا أظهر الإنسان من العقوق وعدم معرفة الجميل. بل صار يُعنى به أكثر من الأول، لأن الخطر اشتد كثيراً بعد استسلام جنسنا للإثم، وتعرضه للهلاك. ولكن الآب السماوي اهتم بالخاطئ وحدَّثه كصديق مبيناً له خطر الهلاك المحدق به، ثم أعطاه الشريعة كمساعدٍ له، وأرسل الأنبياء لتعلمه ما يَجب عليه أن يفعل و«أَرْسَلَ اللهُ ابْنَهُ مَوْلُوداً مِنِ امْرَأَةٍ، مَوْلُوداً تَحْتَ النَّامُوسِ، لِيَفْتَدِيَ الَّذِينَ تَحْتَ النَّامُوسِ، لِنَنَالَ التَّبَنِّيَ.» (غل٤:٤–٥) لذلك نرى نبي اللّه متعجباً من حكمة الضابط الكل وصارخاً : «هذا هو إلهنا ... تراءت على الأرض و مكثت بين البشر»(باروخ ٣:٣٦.،٣٨)، ابن حقيقي لآب أزلي لا يعبَّر عنه ولا يُدرك، اجتاز أحشاء بتولية، وتنازل ان يُولَد من عذراء، ولم يكفّ عن العمل والشروع بالأشياء حتى جاء بنا نحن الأعداء إلى اللّه، وصيّرنا اصدقاء له، فكان كمن يقف بين اثنين متقابلين باسطاً ذراعيه لهما ليوحدهما معاً. هكذا فعل ابن اللّه موحداً الطبيعة الإلهية مع البشرية، أي خاصته مع خاصتنا. هذه وفرة نعمة الرب.

ميلاد ربّنا وإلهنا يسوع المسيح بالجسد

إن الذي غضب يسعى للسلام **قاهراً المغتصب**. قد يخلع الملك تاجه أحياناً ويلبس حلة جندي بسيطة حتى لا يعرفه أحد من أعدائه. أما السيد المسيح فقد جاء لابساً حلتنا حتى يُعرف، ولا يدع العدو يفر هارباً قبل القتال، ويدعو أتباعه إلى الاضطراب، **إن غاية ابن اللّه هي الخلاص لا الإرهاب**.

ربما تقول: لماذا لم تكمل هذه المصالحة بواسطة أحد الأرواح غير المتجسدة أو أحد البشر، بل بواسطة كلمة اللّه ؟ ، فالجواب لأنه لو حصلنا على الخلاص بواسطة أحد الصديقين لما علمنا مقدار عظم اهتمام السيد بنا، ولما أصبح موضوعاً للإعجاب مدى الأجيال. فانه ليس بالأمر المدهش الفريد لو دخل مخلوق في الاتحاد مع مخلوق آخر؛ وبالتالي، لما قدر الإنسان أن يعمل عملاً إلهياً. وسرعان ما يسقط الأرضي، كما عمل اليهود، إذ حوّلوا خلاصهم المعطى لهم بواسطة موسى إلى شرور أشدّ من التي تحمّلوها في أرض مصر، وكادوا يؤلهون موسى بعد موته. إنهم أرادوا أن ينادوا به إلهاً، وهم يعلمون أنهم معه من طبيعة واحدة. وأخيراً لو أرسل ملكاً أو بشراً لاجل إنقاذنا من السقوط لما حصلنا على الخلاص ولا قدرنا أن نقترب من الذي حصلنا عليه الآن. ولو أن قوام خلاصنا حصل من طبيعة ملائكية أو بشرية فكيف يُعطى لنا أن نجلس عن يمين الآب السماوي ونصير أعلى من الملائكة ورؤساء الملائكة، ونستحق ذلك الشرف الذي تتمنى القوات العلوية الدخول في مجده. ولو حُرم الجنس البشري من هذا النصيب المغبوط ألا يظهر عدونا القديم كبرياء أعظم من الاولى ويفكر بتهييج السماء ذاتها؟ فمن أجل هذه الاسباب وغيرها أخذ ابن اللّه الطبيعة البشرية وكمّل خلاص الجنس البشري كله. وعليه إذا تصورنا عظمة تنازل اللّه فلنعط السيد الشرف الواجب، لأننا لا نقدر أن نكافئه إلا بخلاص نفوسنا، وبالاهتمام بالقريب. وليس من عيد أفضل من اهتمام المسيحي الحقيقي بالقريب، والاجتهاد بخلاصه. لأنّ المسيح لم يرض ذاته بل الكثيرين. هكذا يقول رسول المسيح:«غَيْرَ طَالِبٍ مَا يُوافِقُ نَفْسِي بَلِ الْكَثِيرِينَ لِكَيْ يَخْلُصُوا» (١كو ١٠:٣٣).

ثانياً: نتيجة التجسّد الإلهي، حلول اللوغوس فينا

+ ـ الكلمة قد حلَّ في الجميع بواسطة الواحد .

كثيراً ما يعتمد القديس كيرلّس على قول يوحنا الإنجيلي: «والكلمة صار جسداً وحلّ فينا» (يو١: ١٤)، لكي يربط بين تجسّد الكلمة وحلول الكلمة في كل واحد منا:

﴿«الكلمة صار جسداً وحلّ فينا» ما أعمق هذا السرّ! ... فالكلمة قد حلَّ في الجميع بواسطة الواحد (يسوع)، لأنه إذ قد استعلن الواحد (يسوع) أنه ابن اللّه بقوّة من جهة روح القداسة فهذه الكرامة امتدَّت منه إلى كل جنس البشرية حتى إنه بسبب الواحد الذي منا أدركتنا نحن أيضاً الآية القائلة: «أنا قلتُ إنّكم آلهة» ...﴾ (تفسير يوحنا ١٤:١ PG 73,161).

وفي تفسير إنجيل متى يقول:

﴿فقد حلَّ فينا كلمة اللّه وجعل جسد البشرية خاصّاً له.﴾ (تفسير متى ١١:١٨ PG 72,401 B.).

وفي كتابه المسمَّى «الكنز في الثالوث»:

﴿لقد حلَّ فينا كلمة اللّه ... لكي يرفع الذي بلا كرامة إلى كرامته الخاصّة.﴾ (الكنز في الثالوث ٢١ PG 75,364 C.).

وفي كتاب «تعاليم في تجسد الابن الوحيد» يقول بخصوص الآية «والكلمة صار جسداً وحلَّ فينا»:

﴿لاحظوا، أرجوكم، كيف الإنجيلي (يوحنا) اللاهوتي يتوِّج بحكمة كل طبيعة البشر بقوله: أنَّ الكلمة «حلَّ فينا». فهو يقصد بذلك ـ على ما يبدو لي ـ أن يقول أن تجسّد الكلمة لم يحدث لأية غاية أخرى إلاَّ لكي نغتني نحن أيضاً بشركة اللوغوس بواسطة الروح القدس فنستمد منه غنى التبنّي.﴾ (تعاليم في تجسّد الإبن PG 75,1400.).

فالكلمة صار جسداً وحلَّ في هيكل جسده الخاص لكي يتمكّن بذلك أن يحلّ فينا نحن أيضاً. غير أن هناك فرقاً شاسعاً بين حلول الكلمة في جسده الخاص وبين حلوله النسبي فينا بواسطة النعمة. لذلك يستطرد القديس كيرلّس قائلاً:

﴿فنحنُ، إذن، نؤمن أن الإتحاد الذي تمَّ في المسيح هو الإتحاد الأكمل والأحقّ. وأما فينا نحن فمع أنه قيل أنه «حلَّ فينا» إلاَّ أنّ حلوله فينا هو حلول نسبي (أي بالمشاركة والنعمة) لأن فيه (وحده) «يحل كل ملء اللاهوت جسدياً» (كو٢: ٩)، أي أن الحلول الكائن فيه هو ليس مجرّد نسبي أو بالمشاركة (مثلنا) ... بل هو إتحاد حقيقي بين طبيعته الإلهيّة اللامحدودة وهيكل جسده المولود من العذراء...﴾.

فحلول اللوغوس في هيكل جسده الخاص هو حلول طبيعي ومُطلَق، وأما حلوله فينا فهو حلول نسبي وبالنعمة والمشاركة. ولكن على الرغم من هذا الفرق بين هذين النوعين من الحلول، كثيراً ما نجد القديس كيرلّس يربط بينهما مبيّناً أن الحلول الأوّل هو الأساس والوسيلة التي بها يتمّ الحلول الثاني:

﴿فالسرّ الذي حدث في المسيح هو بداية ووسيلة اتحادنا باللّه﴾. تيس بروس ثيون إينوسيوس τῆς πρὸς Θεὸν ἑνώσεως (تفسير يوحنا ١٤:١٧ PG 74,577).

﴿نظراً لأنّ اللوغوس أخذ جسداً بشرياً لذلك صار داخلنا.﴾ غيغونين إين إيمّين γέγονεν ἐν ἡμῖν (الكنز في الثالوث ١٢ PG 75,204.).

﴿نحن نقبل داخلنا ـ δεχόμεθα ἐν αὐτοῖς ذيخوميثا إين أفتيس ـ اللوغوس الذي من اللّه الآب الذي صار إنساناً من أجلنا وهو اللوغوس الحيّ والمحيي. ولبحث الآن كيفية هذا السرّ ... لقد صار اللوغوس جسداً ... وولِدَ بحسب الجسد من إمرأة آخذاً منها جسده لكي يتحد بنا إتحاداً لا يقبل الإنفصال !...﴾ (تفسير لوقا ١٩:٢٢ PG 72, 908-909).

﴿حيث أن جسد المخلِّص صار محيياً بحسب اتحاده بذاك الذي هو الحياة بطبعه أي باللوغوس، لذلك فنحن حينما نأكل هذا الجسد ننال منه الحياة داخلنا لأننا نصير متحدين به بمثل ما هو متحد باللوغوس الساكن فيه !﴾ (تفسير يوحنا ٥٤:٦ PG 73,577).

أي أن إتحادنا بجسد المسيح هو على مثال اتحاد هذا الجسد الإلهيّ باللاهوت الساكن فيه !

وهكذا نرى في معظم الأقوال السابقة أن القديس كيرلّس يربط بين الإتحاد الأقنومي الذي تمّ في المسيح وبين حلول اللوغوس فينا ، أي بين شطري الآية: «والكلمة صار جسداً» ، و «حَلَّ فينا» ويبيّن أن الشطر الأوّل هو أساس و «وسيلة» تحقيق الثاني وأنّ الثاني هو «غاية» الأوّل.

﴿السرّ الذي حدث في المسيح هو بداية و «وسيلة» اتحادنا باللّه﴾.

﴿إن تجسد الكلمة لم يحدث لأية «غاية» أخرى إلاَّ لكي نغتني نحن أيضاً بشركة اللوغوس بواسطة الروح القدس فنستمد منه التبني﴾.

وهكذا تصير العلاقة بين شطري الآية هي علاقة غاية بوسيلة، أي أنَّ «الكلمة صار جسداً لكي يحلّ فينا»:

﴿لقد صار اللوغوس جسداً ... لكي يتحد بنا اتحاداً لا يقبل الإنفصال.﴾

وهكذا يصير اتحاد اللوغوس بالجسد هو أساس ووسيلة اتحادنا نحن باللّه.

+ ـ إتحاد اللاهوت بالناسوت في المسيح أساسٌ لإتحادنا نحن باللّه:

من المبادىء العقائديّة السائدة عند القديس كيرلّس التي يعود إليها في جميع كتاباته أن الإتحاد الذي تمّ في المسيح بين اللاهوت والناسوت هو أساس ووسيلة لإتحادنا نحن باللّه. وبهذه العقيدة الروحية السامية يرتفع القديس كيرلّس من مستوى الجدل العقائدي في الدفاع عن الإتحاد الأقنومي إلى مستوى الخبرة الروحيّة السريّة mystical لهذا الإتحاد الفائق الوصف الذي هو الغاية التي من أجلها جاء المسيح على الأرض وتجسّد.

فالمسيح قد وحَّـد في نفسه اللاهوت بالناسوت «بطريقة لا يمكن تصورها» لكي يستطيع بذلك أو يوحِّدنا «بواسطة نفسه» مع اللّه:

﴿فهو يُعْتَبر «واحداً من اثنين»، فهو ابن واحد قد اجتمعت إليه واتحدت فيه في شخصه الواحد بطريقة لا توصف ولا تُفحص الطبيعتان الإلهيّة والبشريّة لتكونا وحدة واحدة بطريقة لا يمكن تصورها.

فلهذا السبب أيضاً يُعْتَبر هو الوسيط بين اللّه والناس لأنه قد جمع ووحَّد داخل نفسه الشيئين اللذين كانا متباعدين جداً أحدهما عن الآخر واللذين كان يفصل بينهما هوّة عظيمة ، أعني اللاهوت والناسوت. فقد أظهرهما مجتمعَيْن ومتحدَيْن في نفسه وبذلك ربطنا بواسطة نفسه مع اللّه أبيه.﴾

(في الثالوث ١. PG 75,692, 693.)

﴿فهو متحد (حرفياً: متداخل διήκοντος ديكونتوس) بالإثنين: فهو من جهة متحد بالبشرية التي يتوسط لها ؛ ومن جهة أخرى باللّه الآب. فهو بطبيعته إله لكونه ابن اللّه الوحيد غير المنفصل عن جوهر الذي ولده بل بالحري يستمد وجوده من هذا الجوهر كما يُعتبَر أيضاً من نفس هذا الجوهر. ومن جهة أخرى فهو عينه إنسان بصفته قد صار جسداً جاعلاً نفسه مشابهاً لنا لكي يوحِّد باللّه، بواسطة نفسه، ما كان بحسب الطبيعة منفصلاً جداً عنه.﴾

(تفسير يوحنا ١٤:١ PG 73,161.)

أي أن المسيح هو بعينه **إله وإنسان واحد** لكي يوحِّد في نفسه الإنسان مع اللّه فيعطينا إمكانية الإتحاد باللّه. فهذا الجسد الإلهي الذي فيه يحل كل ملء اللاهوت جسدياً هو بالحقيقة «حلقة الوَصل» (ميثوريون μεθόριον) بيننا وبين اللّه.

﴿ إنه يوحِّـد بواسطة نفسه وفي نفسه البشرية مع اللّه. فقد صار «حلقـة الـوَصـل» μεθόριον لأنه يجمع في نفسه الطَرَفين اللذين يسعيان معاً نحو الوحدة والمحبة (أي اللّه والبشرية).﴾

(تفسير يوحنا ١٤:٥و٦ PG 74, 192 AB.)

﴿نحن نتحد بالآب بواسطة المسيح كما بوسيط وكأنه «حلقة الوَصل» بين اللاهوت الفائق السموّ وبين الناسوت، من حيث أن له الإثنين في كيانه وكأنه يجمع داخل نفسه الذين تباعدوا بمثل هذا القَدَر، لأنه متَّحد من جهة باللّه الآب نظراً لأنه هو نفسه اللّه بحسب الطبيعة، ومن جهة أخرى بالناس نظراً لأنه بالحقيقة قد صار إنساناً.﴾ (تفسير يوحنا ١٤:١٠ PG 73, 1045 C.)

وهذا الجسد الإلهي هو «الأداة» ὀργάνον أُرغانون ـ التي بها تتم عملية اتحادنا باللّه، لأننا حينما نقبله فينا نصير متحدين به بمثل ما هو متحد باللوغوس الحال فيه.

فمبارك هو هذا الجسد الإلهي المتلىء بكل ملء اللاهوت جسدياً الذي بواسطته صرنا شركاء الطبيعة الإلهيّة واتحدنا باللّه !

﴿لقد وَحَّـد بنوع ما في نفسه الشيئين المفترقين جداً عن بعضهما بحسب الطبيعة والمتباعدين جداً عن أي تجانس بينهما (أي اللاهوت والناسوت) حتى يجعل الإنسان بذلك شريكاً للطبيعة الإلهية. فالسرّ الذي حدث في المسيح هو بداية ووسيلة اشتراكنا في الروح واتحادنا باللّه!﴾ (تفسير يوحنا ١٧:٢٠و٢١ PG 74, 557-560.)

﴿وبالإجماع قد صرنا أقرباء للّه الآب (سينچينيس συγγενεῖς أي حرفياً شركاء في جنسه أي شركاء في طبيعته الإلهيّة) بالجسد الذي في سرّ المسيح!﴾ (تفسير يوحنا ٣٧:٨ PG 73, 869 C.)

+ ـ المسيح صار ابناً للإنسان لكي نصير نحن أبناء للّه .

لقدرأينا القديس كيرلّس يؤكّد أن غاية التجسد الوحيدة هي أن نستمدَّ من المسيح بالروح القدس «غنَى التبني»، والآن ها هو يُبَلْور هذه الفكرة في عبارة مُحْكَمَة صريحة بديعة في اختصارها ووضوحها: ﴿إبن اللّه صار إنساناً لكي يصير الناس فيه وبواسطته أبناءً للّه بالتبني.﴾ (تفسير يوحنا ١:١٢ PG 74, 70.)

على أن هذا المبدأ الواضح الذي كثيراً ما يكرّره القديس كيرلّس بصيغ مختلفة، لا ينبع من فراغ بل هو مجرّد توضيح وَبَلْورة للآية التي قالها بولس الرسول: «أرسل اللّه ابنه مولوداً من إمرأة ... لننال التبني.» (غلاطية ٤:٥).

ويلذّ للقديس كيرلّس أن يعود ويُعَبِّر عن هذا المبدأ بعبارات جديدة في جميع كتاباته:

﴿ لقد وضَع نفسه لكي يرفع إلى رفعته الخاصة ما هو وضيع بحسب الطبيعة، ولبس صورة العبد مع كونه بحسب الطبيعة هو الرب وهو الإبن، لكي يجعل الذي هو عبد بالطبيعة شريكاً في مجد التبني الذي بشبه مجده الخاص، فقد صار مثلنا أي إنساناً لكي يجعلنا مثله أي أبناء، وهكذا أخذ لنفسه خاصة ما هو لنا وأعطانا عوضاً عنه ما هو له.﴾ (تفسير يوحنا ١٧:٢٠ PG 74, 700 AB.)

﴿فكإله هو الإبن الوحيد (مونُغينيس μονογενής)،غير أنه هو نفسه كإنسان من حيث الإتحاد التدبيري قد صار ابناً بكراً (بروتـوتـوكوس πρωτότοκος) بين إخوة كثيرين أي بيننا نحن لنصير نحن فيه وبواسطته أبناء اللّه ...﴾

(في تجسد الإبن الوحيد PG 75, 1229 B.)

﴿وهو الإله وابن اللّه من قَبل الدهور يقول عنه الآب (في مز

٢٧:٢) أنه قد ولَدَه اليوم وذلك لكي يقبلنا نحن فيه في التبني، لأن البشرية كلها كانت في المسيح (منذ لحظة ميلاده) من حيث أنه صار إنساناً.﴾ (تفسير إنجيل يوحنا ٣٩:٧ .PG 73, 753 B).

إذن، فيوم ميلاد المسيح في بيت لحم كان يوماً لميلاد البشرية كلها فيه ميلاداً سرياً من اللّه «لأن البشرية كلها كانت في المسيح من حيث أنه صار إنساناً». وهذا المبدأ يوضّحه القديس كيرلّس بأكثر تفصيل في الأقوال التالية:

+ ـ ميلاد المسيح وميلاد الإنسان:

المسيح ولد من الروح القدس لكي نولَد نحن أيضاً ميلاداً جديداً من الروح:

من المبادىء القوية عند القديس كيرلّس أنه يعتبر ميلاد المسيح ميلاداً جديداً للجنس البشري كله بصفة عامة، فهو يربط بين ميلاد المسيح بحسب الجسد من الروح القدس والعذراء «الروح القدس يحلّ عليك وقوّة العليّ تظللك» وبين ميلادنا نحن الروحي من اللّه (بحسب إنجيل يوحنا ١٣:١ ؛ ٥:٣). فالمسيح بصفته آدم الثاني لم يَصرْ بداية لجنس بشري معتاد بل لجنس بشري مولود من الروح، ولذلك تحتم أن يولد المسيح من الروح القدس ومن عذراء لم تعرف رجلاً ليصير أصلاً لهذه البشرية المولودة «لا من دم ولا من مشيئة جسد ولا من مشيئة رجل لكن من اللّه» بواسطة الروح (تفسير إشعياء ٣:٨ .PG 70, 221 B/ العبادة بالروح والحق..PG 68, 1005 C / عن الإيمان القويم إلى ثيودوسيوس .PG 76, 1185)، «لأن المولود من الجسد جسد والمولود من الروح هو روح.» (يو٦:٣) .

﴿إننا نقول إن الجسد الإلهي حُبلَ به من الروح في بطن العذراء بطريقة لا يُنطَق بها، فبكر القديسين πρωτότοκος لم يكن محتاج إلى زرع بشر (ليولد به) لأنه هو نفسه كان باكورة (آبارخي ἀπαρχή)الذين يولَدون من اللّه بالروح،الذين قيلَ عنهم أنهم «وُلِدوا لا من دم ولا من مشيئة جسد ولا من مشيئة رجل لكن من اللّه».﴾

فميلاد المسيح قد صار «باكورة» لميلاد البشرية كلها من اللّه بواسطة الروح القدس.﴿فقد صار هو بصفته الأوّل πρῶτος بروتُس مولوداً من الروح القدس ... ذلك لنرتقي نحن أيضاً إلى ميلاد جديد روحي «لا من دم ولا من مشيئة جسد ولا من مشيئة رجل لكن من اللّه» بواسطة الروح.﴾ (المسيح واحد ١٧:٢٠ .PG 75, 1272).

فهذا الميلاد الروحي الذي لنا هو غاية ميلاد المسيح وهو غاية تجسّده: ﴿فإنه لهذه الغاية قد صار مثلنا، لكي يحرّرنا ويجعلنا إخوة له ... فالكلمة الذي من اللّه الآب قد صار معنا مولوداً بحسب الجسد لكي نستطيع نحن أيضاً أن نغتني بالولادة التي من اللّه بالروح القدس ، فلا نُدعَى بعد أولاداً للجسد بل نتحوّل بالحري إلى ما هو فوق الطبيعة ، فنُدعَى أولاداً للّه بالنعمة، لأنه قد جعل نفسه كواحد منّا ذاك الذي هو وحده بالطبيعة وبالحقّ ابن اللّه الوحيد.﴾ (ضد نسطور ٢:٣ .PG 76, 125).

فالكلمة صار معنا مولوداً بحسب الجسد لكي نصير نحن أيضاً بواسطته مولودين من اللّه بالروح القدس.

وجديرٌ بنا أن نلاحظ أهمية الروح القدس في الأقوال السابقة. فالروح القدس هو الذي كان له الدور الأساسي في توحيد اللاهوت بالناسوت في بطن العذراء، وهو أيضاً الذي يعود ويضطلع بمسؤوليّة تكوين جسد المسيح السريّ وتصوُّر المسيح في أعضائنا:

﴿إن المسيح يتصوّر فينا هكذا: بأن يغيِّرنا الروح القدس تغييراً جذرياً من صفاتنا البشريّة إلى صفات المسيح.﴾ (ضد نسطور ٣ .PG 76, 124).

﴿حينما يحلّ ويسكن فينا كلمة اللّه بواسطة الروح، نرتقي إلى كرامة التبني، لأننا نقتني حينئذ في نفوسنا الإبن نفسه الذي إلى شكله أيضاً تغيَّرنا بواسطة شركة روحه الخاص.﴾ (الكنز في الثالوث٣٩ .PG 75, 569 D).

+ ـ نتائج حلول اللوغوس فينا:

وبعض التشبيهات التي يقدِّمها القديس كيرللس عن ذلك:

يظهر من القولين السابقين أن اللوغوس حينما يحل فينا فهو يغيِّرنا بالروح القدس «**تغييراً جذرياً من صفاتنا البشرية إلى صفاته هو**» ، غير أن هذا التغيير الجذري لا يعني أننا نخرج عن طبيعتنا الخاصة أو أننا نتحوّل إلى طبيعة اللّه. لذلك يستطرد القديس كيرللس قائلاً:

﴿فمع أن الإبن لا يُحَوِّل أحداً قط من المخلوقين إلى طبيعة لاهوته الخاص لأن هذا مستحيل، إلاَّ أنه يؤلف بنوع ما بين صفاته الإلهية الطبيعية وبين الذين صاروا شركاءه بمشاركة الروح القدس. فإن صورته الروحية وبهاء لاهوته غير المفحوص يضيئان في نفوس القديسين﴾ (ضد نسطور ٣ .PG 76, 24- 29).

ولتوضيح هذا التآلف بين «صفاته الإلهية الطبيعية» وبين «الذين صاروا شركاءه بمشاركة الروح القدس» يلجأ القديس كيرللس إلى عدّة تشبيهات مادية يبين بها كيف يمكن أن يكتسب شيء ما صفات مغايرة لطبيعته الخاصة بدون أن يتحول عن طبيعته الخاصة:

١ ـ مفعول اللوغوس فينا كمفعول النار في الحديد:

﴿من الخطأ أن نظن أن إتحادنا باللّه لا يمكن أن يتجاوز مستوى توافق الإرادة معه. لأنه فوق هذا الإتحاد (اتحاد الإرادة) هناك إتحاد آخر أكثر سمواً وأكثر رفعة يتم بعطية اللاهوت للإنسان، فمع أن الإنسان يحتفظ بطبيعتهَ الخاصة، إلاّ أنه يتحوّل بنوع ما إلى شكل اللّه نفسه، بمثل ما إذا وُضع الحديد في النار فإنه يكتسب كل خاصية النار مع بقائه حديداً. فهو يبدو كما لو كان قد أصبح ناراً. فهذه هي طريقة الإتحاد باللّه التي يطلبها الرب لتلاميذه الذين يقبلونه ويتحدون بجوهره الإلهي.﴾ (عقيدة كيرلّس الإسكندري وروحياته)

٢ ـ مفعول اللوغوس فينا كمفعول النار في الماء:

﴿إن الماء بارد بطبعه ولكنه إذا سُكب في إناء وقُرِّبَ من النار فكأني به ينسى صفاته الخاصة ويكتسب صفات النار. وهكذا نحن أيضاً الفاسدين بحسب طبيعة جسدنا فإننا نترك ضعفاتنا حينما نمتزج بالحياة الحقيقية ونقبل صفات الحياة.﴾ (تفسير يو ٥٥:٦ .PG 73, 580 A).

٣ ـ مفعول اللوغوس فينا كمثل شظية نار مخفية في كوم من القش:

﴿إن شظية مشتعلة مخفية في كوم من القش تحتفظ بأصل النار. وهكذا يُخفي سيّدنا حياته فينا بجسده ويحفظها فينا كبذرة خلود﴾. (تفسير يو ٥٥:٦ .PG 73, 581 C).

العظات الثمانية عشر لطالبي العمّاد

لأبينا القديس كيرلّس

رئيس أساقفة أورشليم

العظة السابعة في الآب

«لهذا أجثو على رُكبَتيّ للآب، فمنه كل أبوّة في السماء والأرض، وأسأله أن يؤيدكم بروحه على مقدار سِعَة مجده» (أفسس ٣:١٤-١٦)

٦) ـ إله العهد القديم هو أبو المسيح يسوع:

نحن نعبد إذن أبا المسيح، خالقَ السماء والأرض، إله ابراهيم وإسحق ويعقوب (خر٣:٦؛ متى ٢٢:٣٢) الذي إكراماً له بُنِيَ هذا الهيكل الذي هو أمامنا ؛ ولن نقبل أن يَفصل الهراطقة بين العهد القديم والجديد. ولكننا نضع ثقتنا بالمسيح الذي قال متحدّثاً عن الهيكل: «ألم تعلما أنه يجب علَيَّ أن أكون عند أبي؟» (لو٢:٤٩) ؛ وفي موضع آخر: «ارفعوا هذا من ههنا ، ولا تجعلوا من بيت أبي بيت تجارة» (يو٢:١٦). وبهذه الكلمات اعترف بشكل واضح بأن الهيكل في أورشليم هو بيت أبيه. وإن كان هناك أحد يطالب، بدافع من عدم الإيمان ، ببراهين أخرى على أن أبا المسيح هو نفسه خالق العالم، فليسمع ، ما قاله أيضاً: «أما يُباع عصفوران بفلس ؟ ومع ذلك لا يسقط واحد منهما الى الأرض بغير علم أبيكم الذي في السموات» (متى ١٠:٢٩). وقوله كذلك: «أُنظروا الى طير السماء كيف لا تزرع ولا تحصد ولا تخزن في الأهراء ، وأبوكم السماوي يُرزقها» (متى ٦:٢٦). وقوله أيضاً: «إن أبي ما زال يعمل ، وأنا أعمل أيضاً» (يو٥:١٧).

٧) ـ اللّه هو أبو المسيح بالطبيعة، وأبو البشر بالرحمة:

ولئلا يظن أحد ، عن بساطة أو عن سوء نية ، أن الأبرار متساوون بالكرامة مع المسيح، بسبب هذه الكلمة: «إني صاعد إلى أبي وأبيكم» (يو٢٠:١٧)، فالجدير بنا أن نلفت نظرهم الى أن اسم «الآب» هو واحد ، ولكن معناه واسع. ولمّا كان المسيح يعلم ذلك، فقد قال بحكمة: «إني صاعد الى أبي وأبيكم» ، ولم يقل «الى أبينا» ، بل أشار مميزاً الى ما يخصّه بالطبيعة «الى أبي»، ثم أضاف «والى أبيكم» بالتبني. وإن كان يُسمح لنا في صلواتنا بأن نقول: «أبانا الذي في السموات»، فذلك من قبيل المحبة الخالصة، إننا لا ندعو اللّه «أبانا» لأننا وُلدنا بالطبيعة من أبينا السماوي. بل لأننا انتقلنا من العبودية الى البنوّة بهبة أبوية ، بواسطة الإبن والروح القدس. إن صلاح اللّه الفائق الوصف هو الذي يسمح لنا أن نقول ذلك.

٨) ـ الأنبياء يعلّمون ان اللّه هو أبونا بالتبني:

إن كان أحد يريد أن يعرف كيف ندعو اللّه «أباً» فليصغِ الى موسى ؛ ذلك المعلم الممتاز يقول: «أليس أنه هو أبوك مالكك الذي فطرك وأبدعك» ؟ (تثنية ٣٢:٦). وكذلك الى النبي أشعيا: «والآن يا رب ، أنت أبونا، نحن الطين وأنت جابلنا، ونحن جميعاً عمل يديك» (اشعيا ٦٤:٨). لقد أظهَرت النعمة النبويّة بكل وضوح أننا ندعو اللّه أباً لا بحسب الطبيعة ، بل بحسب نعمة اللّه وتبنّيه.

أنا الألف والياء، البداية والنهاية الأوّل والآخِرُ

٩) ـ العهد الجديد يُعلن نفس التعليم:

ولكي تعرف بدقّة أكثر من الكتب المقدسة أن الآب بحسب الطبيعة ليس هو الوحيد الذي يُدعى «أباً»، إسمع ماذا يقول القديس بولس: «قد يكون لكم ألوف المؤدّبين في المسيح، ولكن ليس لكم عدّة آباء، لأني أنا الذي ولدكم بالبشارة، في المسيح يسوع» (١كور ٤:١٥). كان بولس أباً للكورنثيين، لا لأنه ولدهم بحسب الجسد، بل لأنه علّمهم وولدهم ثانية في الروح. واسمع أيضاً أيوب: «كنتُ أباً للمساكين» (أيوب ٢٩:١٦). كان يُدعَى أباً ، لا لأنه ولدهم جميعاً، بل لاهتمامه بهم. وابن اللّه الوحيد نفسه، ـ عندما كان معلقاً بحسب الجسد على خشبة الصليب ـ لمّا رأى أمّه بحسب الجسد ، ويوحنا أحَبَّ التلاميذ إليه ، قال له: «هذه أمّك» ، وقال لأمّه: «هوذا ابنك» (يو ١٩:٢٦-٢٧)، لكي يُظهر العطف المتبادل الذي كان يقتضي على كل منهما أن يكنّه للآخر فيما بعد. وهكذا طبّق بطريقة غير مباشرة هذه الآية الواردة في لوقا: «وكان أبوه وأمه يعجبان مما يقال فيه» (لو٢:٣٣). وهي آية استغلها الهراطقة ليقولوا إنه وُلد من رجل وامرأة ؛ ولكن كما أن مريم دُعيت أمّاً ليوحنا بالمحبّة ، وليس لأنها أنجبته ، كذلك دُعيَ يوسف أباً للمسيح، لا لأنه أنجبه (إذ «وهو لم يعرفها حتى ولدت ابنها البكر» كما يشهد الإنجيل) (متى١:٢٥) ، بل لاهتمامه بإعالته وتربيته.

١٠) ـ أبوّة بالطبيعة وأبوّة بالتبني:

إني أقول لكم ذلك الآن عَرَضاً على سبيل التذكرة. ولنضف هذه الشهادة الأخرى الدامغة، لكي نبرهن على أن اللّه يُدعَى ، «أباً للبشر» بشكل تجاوزي ، مثلاً عندما يخاطب أشعيا اللّه يقول هكذا: «إنك أنتَ أبونا. فإن ابراهيم لم يعرفنا وسارة لم تتمخّض بنا» (اشعيا ٦٣:١٦). هل يمكن البحث عن نصّ أوضح من ذلك ؟ وإن كان مؤلف المزامير يقول: «ليمتلىء اعداؤنا رُعباً أمام الذي هو أبو اليتامى وقاضي الأرامل» (مز٦٧:٦)، أليس من الواضح للجميع أن اللّه يُدعَى أباً لليتامى ـ الذين فقدوا آباءهم أخيراً ـ لا لأنه ولدهم ، بل لأنه يعتني بهم ويحميهم؟ فاللّه إذن يُدعَى أباً للبشر بالمعنى الواسع، كما سبق وقلنا، في حين أنه **أبٌ للمسيح بحسب الطبيعة** لا بالتبني. إنه أبو البشر في الزمن، ولكنه أبو المسيح منذ الأزل، كما يؤكد هو نفسه ذلك: «فمجّدني الآن يا أبتِ بما كان لي من المجد عندك قبل أن يكون العالم» (يو١٧:٥).

راعي الخراف العظيم ربّنا يسوع المسيح

العناية الإلهية

للقديس يوحنا الذهبي الفم

الفصل الخامس: ينبغي أن نصدق أن اللّه ساهر على كل الأشياء، ولمن يشكّوا في ذلك فإنّ برهان الخليقة هو أعظم دليل.

الفصل السادس : الحب الإلهي يفوق بلا نهاية كل حب (آخر) .

الفصل الخامس

ينبغي أن نصدق أن اللّه ساهر على كل الأشياء، ولمن يَشكّوا في ذلك فإن برهان الخليقة هو أعظم دليل.

١ ـ فماذا ـ ألا تريد أيها القارىء ـ أن تقول: «إنني أعلم جيداً وأومن أن اللّه يسهر على كل شيء ؟ ».

بالتأكيد أنا أريد وأتمنى وأرغب في هذا جداً، لكن ليس بأن تجتهد في فحص عنايته وبسؤالك أسئلة باطلة. فإن كمن تشكّ في عناية اللّه، اسأل الأرض والسماء والشمس والقمر. اسأل الكائنات غير العاقلة والزروع والنباتات والأسماك التي لا تستطيع الكلام. اسأل الصخور والجبال والكثبان الرملية والتلال. اسأل الليل والنهار.

٢ ـ في الواقع إن عناية اللّه أوضح من الشمس وأشعتها. في كل مكان، في البراري والمدن العامرة، على الأرض وفي البحار، في كل موضع تذهب إليه ستعاين شهادة واضحة وكافية، شهادة قديمة وجديدة بهذه العناية. في كل موضع ترتفع الأصوات مدوية بوضوح أعلى من أصوات البشر العاقلين تعلن لكل مَن يريد أن يسمع عن صلاح اللّه الساهر .!

٣ ـ وإذا أراد النبي أن يسجل قوة هذه الأصوات قال: «في كل الأرض خرج صوتهم وفي أقصى المسكونة كلامهم» (مز١٨:٤) لغتنا نحن، لا يفهمها إلا لساننا، أما الخليقة فتنطق بلغة تفهمها جميع الشعوب .!

الفصل السادس

الحب الإلهي يفوق بلا نهاية كل حب (آخر).

١ ـ لمن قد تهيأ حَسناً، فإن الاستعلان الوحيد عن اللّه ـ حتى قبل البرهان المأخوذ من أعماله ـ يكفي لإظهار ليس فقط عنايته بنا، بل أيضاً حبه الشديد لنا. لأنه لا يسهر علينا وحسب، بل هو أيضاً يحبنا لأجل ذواتنا حباً بلا حدود، حباً مقدساً ملتهباً، حباً شديداً حقيقياً لا ينفصم ولا ينطفىء.

٢ ـ ولكي يكشف لنا الكتاب المقدس عن هذا الحب ، قارَنَهُ بحب البشر، موضحاً حبّ اللّه الساهر وعنايته بنا بأمثلة كثيرة من الحب والبصيرة (الفطنة) والاهتمام (لدى البشر)، لا لنَقف عند حدود الأمثلة ، وإنما ليدفعنا ذلك أن نتعداها أثناء تأملنا لَها. إنه لم يقدمها كبراهين كافية على محبته، بل كأشياء معلومة جيداً لمن يفهمونها، وكأمثلة قادرة أكثر من أي شيء آخر على إظهار حبّه لنا.

٣ ـ هذا ما أريد أن أقوله. إن بعض الذين تضايقوا مرّة وتأوهوا قائلين: «قد تركني الرب وإله إسرائيل نسيني» (إشعيا ٤٩:١٤)، يجاوبهم النبي قائلاً: «هل تنسى الأم رضيعها فلا ترحم ابن بطنها ؟» (إشعيا ٤٩:١٥). وكأنه يقول: يستحيل على الأم أن تنسى رضيعها فبالأولى لا ينسى الرب جنس البشر.

٤ ـ بعد ذلك، لكي أجعلك تفهم أن النبي استخدم هذه المقارنة، ليس بقصد تشبيه حبّ اللّه لنا بحب الأم لثمرة بطنها، وإنما لأن حبّ الأم يفوق كل حبّ، غير أن حبّ اللّه حتماً أعظم منه، فإنه أضاف قوله: «ولو نسيت الأم رضيعها أنا لا أنساك يقول الرب» (إشعيا ٤٩:١٥).

٥ ـ ها أنت تنظر كيف أن محبة اللّه تفوق محبة الأم لأولادها. ولكي تفهم أن هذا الحب يفوق جداً حنان الأم وحبّ الأب لأولاده قال النبي: «كما يترأف الأب على بنيه، يترأف الرب على خائفيه» (مز١٠٣:١٣) وهو يستخدم مرة أخرى مقارنة الحب هذه، عالماً تماماً أن محبة اللّه تفوق كل حبّ آخر.

٦ ـ يُظهر ربّ الأنبياء وسيّد الجميع أن حبه يفوق جداً قدر الحب الأبوي، وإن كان يوجد فرق (عظيم) بين النور والظلمة والخير والشر، فعظيمة أيضاً المسافة (الهوّة) التي تفصل بين صلاح اللّه وعنايته عن حنان الأب (البشري)، فاسمع ماذا يقول:

٧ ـ « أمْ أيُّ إنسان منكم إذا سأله ابنه سمكة يعطيه حيّة ؟! فإن كنتم وأنتم أشراراً تعرفون أن تعطوا أولادكم عطايا جيّدة، فكم بالحري أبوكم الذي في السموات يَهَبُ خيرات للذين يسألونه ؟! » (متى ٧:٩-١١). مُظهراً بهذا أنه بقدر اختلاف الخير عن الشر، هكذا تعلو محبة اللّه على محبة الآباء واهتمامهم بمصالح أولادهم.

٨ ـ لقد أعطيت هذه الأمثلة، حتى إن حدث لي أن ذكرت شهادات أخرى على الحبّ، لا تدع فكرك يتوقف عند القدر المُعطَى من الأنبياء، بل بإتباعك هذه القاعدة، فإن فكرك سيجتذبك بعيداً جداً ، فترى فيض الحبّ الإلهي الذي يفوق التعبير. لأن المعايير الطبيعية لا تكفي، لكن دعها جانباً وأشخص إلى العُلا ، فهو يقدّم أيضاً أمثلة أخرى.

٩ ـ كما أن من يحب يريد أن يعطي دائماً أكبر عدد من الشهادات على حبه لمحبوبه، فهذا ما فعله اللّه أيضاً باستخدامه

التشبيهات التي تصف المسافة من موضع لآخر، ليس أيضاً لمجرّد أن تعتقد أن حبه شبيه له بالضبط، لكن لأن مقياس المسافات كان أكثر الأمثلة المُذَكّرة (للذهن) ومعروف جيداً لمن يسمعونه.

١٠ ـ لذلك يقول اللّه بفم داود: «لأن مثل ارتفاع السموات فوق الأرض قويت رحمته على خائفيه» (مز١٠٣:١١)، وأيضاً: «كبعد المشرق عن المغرب أبعَدَ عنّا معاصينا» (مز١٠٣:١٢)، ويقول بفم إشعيا: « لأن أفكاري ليست أفكاركم، ولا طرقكم طرقي يقول الرب. لأنه كما علت السموات عن الأرض هكذا علت طُرقي عن طرقكم وأفكاري عن أفكاركم» (إشعيا ٥٥:٨-٩).

إنه قال هذا بعد أن تحدث قبل ذلك عن مغفرة الخطايا وقال: «سأغفر لكم تعدياتكم تماماً» (إش ٥٥:٧ بحسب الترجمة السبعينيّة).

١١ ـ إنه قد أظهر هكذا قدر غفرانه بإعطائه هذه الأمثلة. ولم يكتَف بهذه التشبيهات وحسب، بل ومضَى إلى تشبيه آخر أكثر بدائيةً فهو يقول في سفر هوشع: «كيف أتعامل معك يا أفرايم ؛ ماذا أصنع لك يا إسرائيل. هل أعاملك كأدمة وكصبوييم ؟ قد انقلَب عليَّ قلبي، وأفكاري قد انزعجت» (هو١١:٨).

١٢ ـ وما يريد أن يقوله هو هذا: إنني ولا احتمل حتى كلمة انتهار (لكم).

إنّه عبّر (عن مشاعره) بطريقة بشرية، ليس لكي يخطر في بالك شيء بشري من جهته، حاشا للّه، لكن لكي بطريقة التعبير البسيطة تتخيّل ما هو الحبّ الجدير باللّه: إنه حبّ حقيقي لا ينحل.

١٣ ـ كما أن الإنسان الذي يحبّ بجنون ينتقي كلماته (بعناية) حتى لا يُحزن محبوبته، كذلك يقول الرب: «ما إن تكلمت حتى ندمت على كلامي ... اقلب قلبي عليّ ».

إن اللّه لم يستنكف أن يستخدم هذه الصور التشبيهية التي لا تليق به لإظهار حبّه، الأمر الذي هو بالضبط يختص بمن يحبّ.

١٤ ـ إن اللّه لم يكتَف بهذا، بل ذهب إلى أبعد من هذا مرّة أخرى بتقديمه مثالاً آخراً يخترق أعمق الأمور قائلاً: «كفرح العريس بالعروس، هكذا يفرح الرب بك» (إشعيا ٦٢:٥)، فالحبّ يكون في أوجه عند البداية بين من يحبون (أي بين العروسين) وهو يتكلم هكذا ليس لكي تفكّر في شيء بشري ـ فأنا لن أتوقّف عن تكرار هذا ـ إنما لكي بعد هذه الكلمات تلمس شدّة التهاب محبته الحقيقية الفائضة.

١٥ ـ بعد ذلك، عندما قال أنه يحبّ كأب وأكثر من أب، وكأم وأكثر من أم، كعريس وأكثر من عريس، وأيضاً كعظم المسافة التي بين الأرض والسماء وأعظم من هذا أيضاً كبعد المشرق عن المغرب، بل وأكثر من هذا فإنه لم يتوقف هنا في مقارناته، بل مضى إلى حد اتخاذ مثال أكثر وضاعة أيضاً.

١٦ ـ في الواقع إن يونان بعد هروبه ومصالحة شعب نينوى مع اللّه، تضايق لأن تهديداته لم تتم، وانفعل متألماً بطريقة بشرية (لا تليق بنبي) وكان ممتلئاً حزناً. فأمر اللّه الأرض أن تنبت يقطينة ليونان تحمي رأسه ، ثم أمر الشمس أن تزيد من حرارتها فتحرقها، فتعزّى يونان من اليقطينة التي أراحه اللّه بها من حرارة الشمس، ثم اغتمّ لذبولها. فلما رآه اللّه من ناحية تعزّى ومن الأخرى تضايق، اسمع ما قاله له اللّه:

١٧ ـ «أنت أشفقت على اليقطينة التي لم تتعب ولا ربيتها، التي بِنْت ليلة كانت وبِنْت ليلة هلكت ؛ أفلا أشفق أنا على نينوى المدينة العظيمة التي يوجَد فيها أكثر من اثنتي عشرة ربوة من الناس الذين لا يعرفون يمينهم من شمالهم ؟ » (يونان ٤:١٠-١١).

١٨ ـ وهذا ما أراد أن يقوله: ألم تفرح بظل اليقطينة، فكم بالحريّ ينبغي أن أفرح أنا بخلاص أهل نينوى ؟! إن هلاك اليقطينة لا يؤلمك بقدر ألمي على هلاك هؤلاء الناس، ولذلك كان موتهم مضاداً لفكري.

أنظر كيف مضى اللّه هنا أيضاً إلى أبعد من المقارنة. إنه في الواقع لم يقل: «أنت أشفقت على اليقطينة» ثم توقف عند هذا، بل أضاف قوله: «التي لم تتعب فيها ولا ربيتها» (يونان ٤:١٠).

١٩ ـ بما أن البستاني يحب من النباتات التي يتعهدها، تلك التي تعب فيها بالأكثر، فإن اللّه إذ أراد أن يبيّن أنه يحب البشر وأنه يحبّهم بهذا النوع من الحبّ أضاف قول ما معناه: «إن كنت أنت تدافع بقوة عن عمل غيرك الذي لم تتعب فيه، فكم بالأولى يليق بي الدفاع عن عمل يداي ! ». ثم يخفف من حدة الاهتمام الموجه ضدهم بقوله: «لا يعرفون يمينهم من شمالهم» ومظهراً بهذا أنهم أخطأوا عن جهل وليس عن خبث، وهذا ما أظهرته توبتهم الخالصة.

٢٠ ـ ومَن يئنون بحجة أنهم متروكون يوبخهم قائلاً: «اسألوني من جهة أبنائي، ومن جهة عمل يدي أوصوني» (إشعيا ٤٥:١١) ، وما يريد قوله هو هذا: مَن يذكّر الأب بابنه أو يحثه ليفكر فيه أو مَن يذكّر عامل أو فنان ألا يدع عمله يتلف ؟ هكذا عند البشر فإن الطبيعة والفن يكفيان لكم لإعطائكم الدليل على الاهتمام، لكن أنتم تظنون أنني احتجت لمن يدعوني للاهتمام بأولادي وأعمالي.

٢١ ـ وهو لا يقول هذا ليمنعهم من الصلاة ، وإنما لكي يعرفوا أنهم قبل أن يُصلّوا ، يعمل الرب ما يحسن في عينيه، لكنه يريدنا أن نصلي لأن في الصلاة نفعٌ عظيم. ها أنت ترى بهذه الأمثلة كيف أن براهين عناية اللّه أكثر وضوحاً وأسطع من الشمس.

٢٢ ـ وهذا مؤكّد، فإنه ذكر مثال الأب والأم والعريس و، والبُعد بين السماء والأرض ، وبين المشرق والمغرب ، وشبّه نفسه بالبستاني الذي يتعب من أجل عمل يديه ... وبالمحبّ الولهان الذي يخشى (حرفياً يحزن) لئلا يُحزن محبوبته ولو بكلمة، وقد أظهر اللّه بكل هذه الأمثلة أن حبّه يختلف عن كلّ هذه الأنواع من الحبّ كإختلاف الخير عن الشر.

تذكار حافل لذكر السيّدة والدة الإله العذراء مريم

للقسّ روبيل الدُنَيسري

فيها من بلاغة العبارة وعلوّ المنهج وطلاوة الفصاحة .
ما يعبّر عن علوّ منزلتها ،وعَظَمة شفاعاتها وأدعيتها .

والدة الإله الكليّة القداسة والدائمة البتولية مريم

الحمدُ للّه الذي أنارَ بأنوار الحكَم مصابيحَ العقول. وكشفَ عنها أسـتارَ الظّلام[١] فعرفَتْ سرَّ العقل والعاقل والمَعقول. الذي تَنزَّهَ بالعزَّة القدسيَّة عن الأجناس والأنواع والفصول. وتقدَّسَ بسلطان الأحديَّة[٢] عن مشابهة الموضوع والمحمُول. الذي أطلَعَ شَمسَ البَرارَة من مَشرق سيِّدة النساء الطّاهرة البَتول. ودَرَّعَ[٣] الكلمة الأزليـَّةَ هيكلاً ناسوتيّاً أظهَرَهُ في العالم الكونيِّ على هيئة الرَّسول. نَحمَـدُهُ حَمداً يَقودُهُ رائدُ التَّوفيق إلى أبواب القبول. ونَشكُرُهُ سَرمداً[٤] على إيلاء الآلاء[٥] الضَّافية الأهداب والذّيول.

أيّها المؤمنونَ، انتقلَت البيعَةُ الأرثَاذُكسيَّةُ ابنةُ النُّور. من شَرَف إلى شَرَف ومن نور إلى نُور. وَمن الحُبور[٦] بالميلاد الغريب. إلى السُّرور بذكر والدة الإله والدة السرِّ العجيب. من بكر الأعياد المخصُوصة بالوَلد. إلى عيد البكْر حافظَة البكريَّة إلى الأبد. من الأفراح بعيد منير العُقول. إلى طَرَب الأرواح بعيد السـِّيِّدة البَتُول. هذا اليومُ الذي خُصَّ بالهَناء والخدمة. وأُهديَ فيه هدايا السّلام للطاهرة الملآنة من النّعمة. هذا اليومُ الذي قَرَّتْ[٧] ببهجَته العيُونُ. وَسُرَّتْ بفَرحَته قُلوبُ الأبكار والعُون[٨]. هذا اليومُ الذي تَوَفَّرتْ فيه الحسرَةُ اليهوديّة. وافتَخَرت بيُمن مَطلَعه الأسرَةُ الدَّاوُديَّةُ. هذا اليومُ الذي صَدَقَتْ فيه المَخايلُ[٩]. وأُعطيَت البَتولُ الطُّوبَى من كُلِّ الأمَم وقـاطبة القَبـائل. اليومَ تشرَّفَ قَبيلُ النِّساء. قَدمَت رَكـائبُ الأفراح على النُّفَساء[١٠]. تَحلَّى الجيدُ[١١] البَتوليُّ بدُرِّ العزَّة القَعساء[١٢]. خَرَّت سَاجدةً في الإيوان[١٣] المَغاريِّ جباهُ الأساورة[١٤] الرّؤَساء. اليوم خَمدَت جمرات النَّوائر[١٥]. هَمدَت حرارَاتُ الشّكوك الثَّوائر[١٦]. أشرقَت بنور المسيح أبصارُ البَصائر[١٧]. تأَرَّجَت[١٨] أنُوفُ الخَلق بأرَاج التَّهاني والبَشائر. اليومَ صفَت المناهلُ[١٩] والمَوارِدُ. تأنّسَت[٢٠] قلوبُ الشَّوارد[٢١]. أذْعَنَ بالعفَاف المريَميِّ كلُّ ضالٍ ومارد. نظَرَ الأعداءُ سَيِّدَةَ النساء نظَرَ الأسودِ الحوارد[٢٢]. اليومَ طَربَت آفاقُ الغبراء. إبتَهجت نَفسُ السيّدة العذراء. لاحَ صباحُ المُنَقبَة[٢٣] الغرَّاء[٢٤]. تَفطَّرتْ[٢٥] مرائرُ[٢٦] اليهود الأغرَّاء[٢٧]. اليومَ خَفَقَت بنودُ[٢٨] السَّعادة. نُشرَت أعلامُ الإفادة. صُبَّتْ على شَعب السَّيِّد المسيح بركاتُ الولادة. وُضعَت على المَفْرق المريميِّ إكليلُ المجد وتيجانُ السَّعادَة. اليومَ قَرَّت العينُ المريميَّةُ. إفتَخَرت الجُبلَةُ الآدميّة. تَشَرَّفت القريةُ البيتَ لحميَّةُ. فُتقَت[٢٩] بنور المسيح أبصارُ الخَلق العَميَّةُ. اليوم افتخَرت الأنامُ وأقطارُ الورَى. قُهرَت الآثامُ والأوزارُ[٣٠] إلى الورا[٣١]. تَخَرَّصتْ[٣٢] افواهُ الأغمار[٣٣] بالقول الهُرَا[٣٤]. رَشقَ اليهودُ الأغبياءُ ذاتَ التُّقَى والطَّهارة بسهام الفرَى[٣٥]. اليومَ ظهرَت الآياتُ العجيبةُ. بَهرَت المُعجزاتُ الغريبَةُ. زالَتْ كواذبُ الظُّنون عن الخطيئة. أزالَت الآياتُ البَواهرُ عن قلب يوسُفَ مَواقعَ الشّكوك والرّيبَة.

فالواجب علينا الآن يا أُمَّـةَ السيّد المسيح أن ندنوَ بالهمَم والوَلاء إلى خدمة والدة الإله ونُبَجّلَ بالإكرام عيدَ الدُّرَّة اليَتيمَة. نَتلَقَّى بالإعظام ذكرَ اللؤلؤة الغالية القيمَة نُشاهدُ في إيوان المغارَة. ذاتَ التُّقَى والطَّهارة. نُحدقُ إلى سكينَة القُدس والرحمة. سُرادق[٣٦] العزِّ والعَظمة. خزانَة الأسرار السماويَّة. صَدَفَة دُرَّة الحياة الأبديّة. مَشرق الشَّمس الأزليّة. السَّماء الثانية العَليَّة. هيكَل القُدرَة العظيمَة. مَقصورَة[٣٧] النِّعمة الجسيمَة. باب الأسرار ا لخفيّة. حجاب

الأنوار البهيَّة. دَرجة الشَّرف الإنسيِّ. أوج الكوكب القُدسيِّ. دَقيقَة الرّحمة الغَزيرة. حَقيقة الحكمة المُنيرة. ذات المَباهي والمَفاخر. نَجلَة[38] البَرَرَة الأطهار والشَّرف الفاخر. مريمَ العذراء الصَّفيّة. مُتَّكئَةً على السُّدَّة[39] المعلفيّة. وهي مُجلَّلةٌ بالنّور والبَهاء. آذنَةٌ لَمن رامَ الدّخولَ وتقديم هَدايا الهَناء. نتأمّلْ بعيون البَصائر شَرَفَ الولادَة. ونَلمَحْ سيِّدَةَ النِّساء مُعتَجرةً[40] برداء البَهاء والسَّعادَة. قَد احتَفَّتْ ملائكةُ السّماء بسُدَّتها. واصطَفَّتْ أجنادُ العَلاء لخدمتها. نَرى صَبيَّةً خاملَةَ الذِّكر مسكينَةً. نُشاهدُ مُحيّاً قَدْ مُدَّ عليه قناعُ الحياء والخَفَر[41]. فَقيرَةً أثرَتْ بفَقرها أبناءَ آدَمَ. خاملَةً تَخدُمها الزُّمَرُ الملائكيّةُ. حاملةً لعاقد التّيجان على المفارق الملكيّة. يتيمَةً لمْ يكن لها في فَسيح الأرض مأوىً. ضئيلةً افتخرت بضَآلَتها أُمُّها حَوّا. ننظُرُ إلى مُلوك المجوس وقد وضعوا التّيجانَ على رُؤوسهمْ وأدنَوا أَصنافَ الهدايا والقَرابينَ إلى ملكهم وقُدُّوسهم. شَدّوا من قُمطه على أَسنَّة الرِّماح بُنوداً واعلاماً. واستَكْتَبوا من ديوان رَحمته لَهُم أَماناً وذماماً. نُشاهدُ يُوسُفَ الشَّيْخَ العَدولَ[42]. واقفاً على قَدَم الأفراح أمامَ البتول. قد أزالَ عَن مَكامن[43] قَلبه الهواجسَ والخَطَرات[44]. واستَنصلَ[45] من زَلَّة الظّنون السّوالف والأوهام الخَطرات[46]. قَد أُشحنَت زوايا قلبه بالبهجة والمَسَرَّة. ولاحَ على وجهه البَهيِّ نورُ البِشْر والإبتسام من أثناء الأسرَّة. يتعَجَّبُ من الآيات الغَرائب. ويَتَحجّبُ لمُلوك الفُرس بإدناء السَّلام وتقديم الحَقائب. وقَد أشعرَ نَفسَهُ بالهيْبَة. وتَرَقرقت دُموع الأفراح على وقار الشَّيْبَة. نُسَبِّحُ نحنُ لهذه الرَّأفة العَميمة. ونَشكُرُ ترادُفَ الآلاء والنِّعَم الجسيمَة. نَملأُ الأفواهَ من التهليل والتسبيح. ونَضْفُرُ أكاليلَ المدائح لوالدَة الإله أم ربّنا يسوعَ المسيح. نحملُ هذه الآيات الظّاهرَةَ على صدق اليقين. ونُؤْمنُ بالآيات البّاهرة إيمانَ المُصَدّقينَ.

نَرفُضُ مَلابسَ الأوزار والذُّنوب. ونَرحَضُ بماء التّوبَة أوضارَ[47] القُلوب نُوَطِّنُ النُّفوسَ على الصَّفح والإغضاء[48]. ونَستَعدُّ مع الأبكار الخَمس بالمصابيح والأضواء. نبتاعُ من القَنايا البّائدَة مَيمَنَةَ المسيح. ونَتَقَيّلُ[49] بالملائكة الأطهار في التقديس والتسبيح. ونتشفَّعُ بصلاة زَهرة البشريّة. الزّاهرَة بالأنوار البَهيّة. غمامَة الأسرار العَليَّة. التي أومَضَت منها بروقُ البتوليّة. ذات الوَضاء[50] الأشرَق[51]. والثّناء الأفيح[52] الأعبَق[53]. السيِّدة الطاهرة الزكيّة. سكينَة القُدرَة العَليَّة. أن يَرفَعَ اللّهُ عنّا مواردَ النِّقَم بصلاتها. ويجمعَ لنا شواردَ النِّعَم بدُعائها وبَركاتها. ويُوَفّقنا للتَّعلُّق في يوم القيامة بأهدابها. ونكونَ في مجمع الأبرار من خواصِّها وأصحابها ويُؤهّلَنَا لفعل نحوزُ به رضاهُ في طاعَتها. ويجعلَنَا من أصحاب اليمين بصلاتها وشفاعَتها. ويمزجنا بزُمرة الآباء المؤيّدين. وجميع الشُّهداء والقدّيسين. برَحمَته التي تَعُمُّ الأحياء والميّتين. ويُسبغ[54] سجالَها[55] على الخَلق كافَّةً أجمعين.

معاني الكلمات:

١) أستار الظلام: انتشر ظلامه.
٢) الأحديّة: الإسم من أحد، اللّه الواحد والوحيد.
٣) دَرَّع: ألبَسَ.
٤) سرمداً: دائماً مضطرداً.
٥) إيلاء الآلاء: نعمة الإيمان.
٦) الحبور: الغبطة.
٧) قرّت: ما تقرّ به عيني وتُسَر.
٨) العُون: ما كان في منتصف العمر.
٩) المخايل: ما توسّم فيه من الخير.
١٠) النـّفساء: الثمين.
١١) الجيد: العنق (موضع القلادة).
١٢) القعساء: المنيع.
١٣) إيوان: القصر.
١٤) الأساورة: قومٌ من العجم بـ «بالصرة» نزلوها قديماً.
١٥) النوائر: الهائجة.
١٦) الثوائر: غير المستقرّة.
١٧) البصائر: الدليل الواضح الجلي.
١٨) تأرجّت: فاحت منه رائحة طيّبة.
١٩) المناهل: الموارد، المنابع.
٢٠) تأنّست: (أنيس) أصبحت أليفة.
٢١) الشوارد: نوادرها وغرائبها.
٢٢) الحوارد: الغضاب، حَرَدَ إذا غَضِبَ.
٢٣) المنقبة: الخصال الحميدة.
٢٤) الغرّاء: السيّدة الكريمة، الشريفة، الحسناء، البيضاء.
٢٥) تفطّرت: تشقّقت.
٢٦) مرائر (مريرة): عزيمة.
٢٧) (أغرّه): أدخله الى الخديعة.
٢٨) بنود: أعلام كبيرة.
٢٩) فتقت: إنشقّت.
٣٠) أوزار: خطايا.
٣١) الورا: الخلق، كنية الى الدهر.
٣٢) تخرّصت: كذبت بالباطل، قالوا ما لم نَقُل.
٣٣) الأغمار: الجهّال الذين لم يجرّبوا الأمور.
٣٤) الهرا: المكروه.
٣٥) الفرَى: الأقوال المُختَلَقة.
٣٦) سرادق: خيمة.
٣٧) مقصورة: مصونة، المُنعَمة في بيت لا تتركه لتعمل.
٣٨) نجلة: الواسعة، الطويلة والعريضة.
٣٩) السدّة: ما يُجلس عليه كالمنبر.
٤٠) معتجرة: المرأة التي تلف العمامة على الرأس.
٤١) الخفر: الحياء.
٤٢) العدول: تغيير الجهة أو الرأي.
٤٣) مكامن: المواضع التي يُختفَى فيها، ولا يُفطَن إليها.
٤٤) الخَطَرات: ما خطر بباله، من خواطر وأفكار.
٤٥) إستنصلَ: أزالَ.
٤٦) الخَطرات: المهلكة.
٤٧) أوضار: أوساخ.
٤٨) الأغضاء: السكوت والصبر على أخطاء الآخرين.
٤٩) نتقيَّل: نستريح.
٥٠) الوضاء: النظيف، الحسن.
٥١) الأشرَق: يتلألأ حُسناً وجمالاً.
٥٢) أفيح: أوسع.
٥٣) الأعبق: إنتشار رائحة الطيب
٥٤) يسبغ: يتمّ.
٥٥) سجالها (سجال): حصة، نصيب، عطاء، ضرع عظيم.

العهد القديم في الكتاب المقدّس (٦١)

الفصل السادس:

ب- مملكة داود ـ (١٠١٠-٩٧٠ ق.م.)

(١صم١٦-٣١؛ ١مل١-١١؛ ٢أخ١١-٢٩)

إنقلاب أبشالوم:

«والآن لا يُفارق السيف بيتك لأنك إحتقرتني» (٢صم١٢:١٠)، إنتهز أبشالوم أكبر أبناء داود فرصة أن أباه تقدمت به السنون وإبتعد عن الشؤون اليومية للملكة ، فرفع علم الإنقلاب والثورة ضد أبيه، وقد ثارت دوافع العصيان التي كانت كامنة قلبه إذ رأى أن داود يحب سليمان بن بتشبع أكثر من أولاده، وكان أبشالوم هو الوحيد بين أبناء داود الذي ينحدر من أصل مَلَكيّ عن طريق أمّه، لذلك رأى في نفسه أنه الأحَق بالعرش إذ أن إخوته الأكبر منه سنّاً أمنون و كيلاب ، كانوا قد ماتوا ،كما أنه كانت هناك بذور أحقاد قديمة ترجع إلى إحدى عشرة سنة عندما إغتصب أمنون بكر داود ثامار أخت أبشالوم ، ومع أنّ داود غضب وقتها ولم يستحسن هذا الفعل القبيح، لكنه لم يفعل شيئاً.

وكان أبشالوم أميراً من أمِّه إبنة ملك جشور وكان شاباً جميلاً وموهوباً وورث عن أبيه جرأتَه وسعة حيلته، وبعد أن قَتَلَ أخيه أمنون ، هرب ولجأ إلى جدّه، وبعد مَساعي يوآب عاد أبشالوم إلى أورشليم وبحيلة ماكرة أظهر ترفقاً بالناس، فسرق قلوب إسرائيل إذ أحبّ الشعب ذا اللسان الناعم والوعود الوردية (٢صم١٥:٦).

وبعد ثلاث سنوات هرب ومعه مئتين من الرجال وأعلن نفسه ملكاً في حبرون وأشعل الثورة ضد أبيه، أما داود لئلا يندفع في عمل حربي ضد إبنه، قرّر أن يهرب ومعه كل بيته من أورشليم ورافقه مجموعة من جنوده البواسل واتخذ الملك الهارب أقصر الطرق للشرق وهو طريق برية يهوذا إلى مخاوض الأردن عند أريحا ، وفضَّلَ أبشالوم نصيحة حوشاي المضللة على مشورة أخيتوفل في تأجيل المطاردة ، وكان حوشاي قد أرسل إلى داود محذراً ألا يقضي يوماً قرب المخاوض، فعبر داود المخاوض وشقّ طريقه إلى محنايم وهناك صار آمناً في عبر الأردن وقدّم له أصدقاؤه الطعام، واستعدّ داود للحرب، وعيَّنَ أبشالوم عماسا قائداً لقواته وتقابل الجيشان في غابة أفرايم الكثيفة، واتسعت دائرة الحرب وانتهت **بموت أبشالوم** ذلك الفتى الطموح ذي الشعر الذهبي الذي لم ينتظر حتى يأتيه العرش في أوانه.

الأيام الأخيرة لداود:

عصفت بداود هزّة عنيفة بسبب موت أبشالوم، وتعود المملكة لتلتئم جروحها فيقدّم الجميع ولاءهم للملك، ومرت السنوات العشر الأخيرة من حياته هادئة لم يعكر صفوها سوى حادثة تورط يوآب قائد الجيش مع أدونيا أكبر أبنائه، فأمنون قتله

النبي والملك داود

أبشالوم ، وكيلاب مات صغيراً ، وأبشالوم قُتلَ في الثورة، فتآمر يوآب متضامناً مع أدونيا لتتويجه على العرش، فداود تقدمت به السنون وبدأت شمس حياته الساطعة تميل إلى الغروب ، ورأى يوآب أن أدونيا أحقّ بالمُلك، لكن العرش موعود به لسليمان (١مل١:١٣،١أخ٢٢:٩)، ولكن خطط أدونيا تفشل بفضل سرعة تدبير ناثان النبي، ويُتَوَّج سليمان ملكاً على المملكة، ومات داود في نحو السبعين من عمره شيخاً وشبعان من المجد والغنَى، وانتهى حكمه الذي دام نحو أربعين عاماً منها سبع سنوات مَلَكاً على حبرون وثلاثة وثلاثون عاماً متوّجاً على كلّ إسرائيل، ودُفن في أورشليم (نح٣:١٦ ، أع٢:٢٩).

خصائص حكم داود:

إشتهر حكم داود بالثراء والرفاهية، ويعتبر أزهى عصور إسرائيل، ويمكن أن نلخّص خصائص حكم داود على النحو التالي:

أولاً من الناحية السياسية:

تميّز حكم داود بأنه حُكمٌ عسكري، وفي هذه الفترة كانت جارتا إسرائيل العظيمتان على درجة من الإنكماش، فلم يكن لأشور أو مصر نفوذ، تاركتين للشعوب الصغرى أن تدبر أمورها بنفسها، وكان الأمان لحياة تلك الشعوب في تفوقها العسكري، وقد نظّم داود الجيش في حنكة إذ جعل له رؤساء فصائل ، فبرز منهم الأبطال العسكريون، وعيّن قائداً لقواته كان حربياً ممتازاً، لذلك فاقت غزوات داود وإنتصاراته نجاح شاول، وارتفعت إمبراطوريته إلى عظمة لم تدانيها عظمة أخرى.

ثانياً: من الناحية الدينية:

إرتفع داود إلى مرتبة النبوة إذ كان من أبطال الإيمان (عب١١)، وبالرغم من سقطته لكن مجرى حياته كان مستقيماً إذ كان رجلاً تقيّاً واتجه إلى الإصلاح الديني فاهتم بنقل التابوت إلى أورشليم، ونظّم العبادة وارتقى بها إلى أعلى مستوى ، وقسّم مجموعات اللاويين لخدمة بيت الرب للقضاء والغناء والبوابين، كما كتب المزامير والأناشيد الدينية، ورتّب فرَقاً للتسبيح والموسيقى، وكان مرنّم إسرائيل الحلو (٢صم٢٣:١)، ومن مآثره الدينيّة أنه إعتنى بمدرسة الأنبياء التي بدأها صموئيل النبي لتعليم اللاويين دروس

الشريعة وألحان التسبيح، وعامةً إمتاز عصر داود بالإيمان والصلاة والتسبيح.

ثالثاً الإصلاحات الداخلية:

ليس ثمة شك أن داود هو أعظم ملك في تاريخ إسرائيل، فقد أسّس أسرة مالكة ووضع أساساً ثابتاً للمملكة، فأنشأ نظاماً للإدارة السياسية بتعيينه حكاماً للبلاد يجتمعون بين الحين والآخر للتشاور في شؤونهم الداخلية، وبذلك كان العدل يسود في المملكة، وقد وحَّد الأمّة وأنقذها من خطر التمزّق، وجعل لها عاصمة متوسطة في البلاد هي أورشليم، ونظّم القوى الصناعية للشعب واهتم بالزراعة، وعيَّن مشرفين على الزراعات (١أخ٢٧:٢٥) وبنى المخازن، كما أدخل الفنون، وضاعَفَ الموارد الإقتصادية وأبرم معاهدة تجارية مع ملك صور، وحصَّن أورشليم وبنى فيها برجاً (نش٤:٤) وشَيَّدَ قصراً ملكيّاً فخماً وجعل من مدينته فخراً للأمّة.

رابعاً: من الناحية الأدبية:

تميّز داود بصفات شخصيّة كثيرة ممتازة نادراً ما تتجمّع في شخص واحد، فقد كان سياسيّاً ناجحاً وعسكرياً قديراً، وأيضاً كانَ يتحلّى بضبط النفس (١صم٢٤-٢٦: ٢صم١٦:١٠)، وكان متسامحاً عطوفاً، وإذ كانت مشاعره رقيقه وعواطفه جياشة تغنى بالمزامير، وكانت له صلوات كثيرة ينشدها على قيثارته الشجية في كل مناسبة يعبّر بها عن ضيقه وفرحه وتوبته وخلاصه، فكانت قطعاً أدبيّة رائعة أثرى بها عصره وارتقى بها بشعبه، فأنشد وهو مطارد في المغارة (مزمور ٧ ، والمزمور ٥٦)، وفي ذكرى نقل التابوت إلى أورشليم (مزمور١٤ ، ومزمور٢٨ ، ومزمور١٣١) وكان أعذبها (مزمور ٢٣)، وعندما كمنوا له في البيت لقتله أنشد (مزمور ٥٨)، وفي غدر الزيفيين به (مزمور ٥٣) ، وكتب ترانيم المصاعد، وكان أجمل مزامير توبته هو المزمور الخمسون (إرحمني يا اللّه كعظيم رحمتك ...)، وأحلى مزامير نصرته (مزمور ١٥١ المعروف بالمزمور خارج العدد) حيث انتصر على جليات.

وقد كانمت المزامير التي ألّفها داود وأنشد نظمها الموسيقي وتغنّى بها على قيثارته تنبع من قلب مشحون العاطفة في كل مناسبة، ونورد بعض أمثّلة منها:

الهروب من القصر(١صم١:١٩،١:٢٤ ، مز٥٨)، وهو يدّعي الجنون (١صم٢١، مز ٣٣)، هروبه إلى البريّة (٢صم١٥ ، مز٦٢) ، هزيمته للأدوميين (٢صم١٣:٨، مز ٥٩)، إختفاؤه في الكهف (١صم٢٢، مز ٥٦ ، مز١٤١)، الإثم مع بتشبع وتوبته (٢صم١٢و١١ مز٦ ، مز٣١ ، مز ٥٠)، ضيافة كهنوت نوب (١صم٢١ ، مز٥١)، تمرّد أبشالوم (٢صم١٥:١٣،مز٣)، الجواسيس الزيفيون (١صم ١٩:٢٣، مز ٥٣)، ترنيمة الخلاص ٢صم٢٢، مز١٧).

قال أحد العلماء والمفكّرين: منذ فجر العالم والانسان صبور، يخطفه الموت ومع ذلك فهو يعمّر الحياة ، يقول له الدين : إنّ يوم النهاية آت لا ريبَ فيه، ومع ذلك فهو يعمل لأيام بلا نهاية!! وعندما يموت أبٌ أو زوجٌ أو إبنٌ أو صديقٌ، نتصوّر وَهْمَاً أنّ الموت لَن يدركنا، ربما نتكلم عن الموت وسرّه الغامض، ولكن أعماقنا توهمنا أننا نعيش الى الأبد !! خداعٌ كبير واضح، ولكن الناس يستمتعون بهذا الخداع ، والانسان البدائي والانسان المتخلّف هو الذي يبكي كثيراً في مواكب الموت ، أما انسان العصر والصاروخ وناطحات السحاب وسفن القمر والمريخ، دموعه قليلة في مواكب الموت!! **مات الملك يحيا الملك** ، والحياة مستمرة، عجبي نحنُ نموت كثيراً عندما نعيش كثيراً ، يموت الحبّ ، تموت البهجة ، تموت منّا عين أو قَدَم أو ذراع، نعيش بربع قلب ، بنصف كبد، برئة واحدة، تموت صداقات، كل دقيقة من حياتنا تمضي فهي تموت ، وكل دقيقة في حياتنا آتية فهي إلى موت !! ومع ذلك نعيش، ونناطح ونحارب ونتعارك ونخترع أسلحة الإبادة ، ونُدافع عن شبر أرض ، جميعنا يأخذ دوره في لعبة المأساة ، وبعضنا يسعى الى الدور الكبير ، **القيادة** .. ولو على موضع قدمه، وكلنا على مسرح غريب ، يسقط فيه الآلاف ويولد فيه الآلاف !! **يا للإنسان من عجيب، ويا للّدهر من رواية، ويا للزمن من مسرح ضخم !!**

ليتنا جميعاً ننظر إلى فوق الى الحياة الجديدة ، **الى الميلاد الجديد .. الميلاد الثاني المجيد** !!

حِكَم رصينة ، للقلب حصينة

الصَّمتُ أُزَيَّــنُ بالفتـى	مِن مَنْطِـقٍ في غَيْرِ حينِهْ
والصِّدقُ أَجملُ بالفتى	في القَولِ عِنْدي من يَمينِهْ
وعَلى الفتـى بِـوَقـارِه	سِمَةٌ تَلـوحُ علـى جَبينـِهْ

****

وقَبلَكَ داوى الطبيبُ المريضَ	فعاشَ المريضُ وماتَ الطبيبُ
فكُنْ مستعـداً لـدارِ الفنـاءِ	فـإنَّ الـذي آتٍ قـريـبُ

نصيحة الى الشباب

من الرسائل الرائعة للقديس باسيليوس الكبير

الجزء الثاني والأخير

يقول **القديس**:«طالما أنه يجب علينا بالضرورة أن نبلغ بالحياة لتكون بحسب الفضيلة، فيجب على انتباهنا أن يتركز أولاً على مقاطع من الشعراء والمؤرخين وخصوصاً الفلاسفة والتي في هذه المقاطع تُمدَحُ الفضيلةُ عينها». يريد القديس باسيليوس بهذا أن تصبح الفضيلة عادةً مألوفة بالنسبة إلى الشاب كونه يدرسها في صباه لأنه كما نقول في المثل الشائع «العلم في الصغرِ كالنقش على الحجر» فنفس الشاب تكون طرية تتقبل ما تتلقاه بسهولة. أما إن لم تكن النفس معتادة منذ صباها على الفضيلة فإنه ينطبق عليها ما كتبه **هزيود**:«قاسية هي البداية وصعبة، وطريق شديدة الانحدار ومليئة بالتعب والألم تلك التي تقود إلى الفضيلة». لكن عندما يبلغ المرء إلى القمة يرى الطريق سهلاً ورائعاً أكثر من الطريق التي تقود إلى الرذيلة.

ويعود القديس في منتصف رسالته ليشدّد على الفكرة التي يعتبرها النصيحة الجوهرية وهي أنه لا يجب قبول كل الأفكار بدون تمييز وفحص وكما يقول:«كما أنّه لا يوافقنا أن نتناول كل الأطعمة بدون فحص». علينا أن نعرف أين مصلحتنا الحقيقية لئلا نهدر حياتنا عبثاً.

٣) الفضائل المسيحية:

هكذا ينتقل القديس ليستشهد بكثير من مؤلفات الشعراء ومن الأساطير التي تمدح الفضيلة وهنا يقول: «كلّ شعر هوميروس هو مدح للفضيلة »، وهنا يجب أن نعتبر أن ما يقوله القديس هو تشديد على الفضائل التي يذكرها وليس مجرد ذكر لورودها في هذه المؤلفات. أي أنْ نعتبر ذكر القديس لهذه الفضائل بمثابة نصيحة إلى الشباب لممارستها.

الفضيلة أعظم من اللباس، عندما نجا أودسيوس من الغرق وكان عارياً لم يخجل من عُرْيه، ولم يتوانَ عن تقديم الإكرام لابنة الملك، والأميرة نفسها لم تأنف منه لأنه كان مرتدياً الفضيلة بدل اللباس، وهذا ما جعله مثالاً للمدعوين **الفياشيين** الذين أرادوا مشابهته فتخلوا عن حياة الرفاهية أو الميوعة التي كانوا يعيشون فيها. وهنا يستشهد القديس بقول لشرح شعر هوميروس:« أيها الناس اهتموا بالفضيلة التي تطفو مع الغريق وعندما يبلغ الشاطئ ستجعله أكثر كرامة من الفياشيين السعداء ». يتابع القديس في مدح الفضيلة ويعتبرها الشيء الأكثر ثمناً للإنسان إنها الكنز الحقيقي لأن كل ممتلكات الإنسان تزول وتتغير لكن كما يقول: «الشيء الوحيد الذي يبقى للإنسان في حياته وبعد موته هو الفضيلة».

إنَّ هذه النظرة إلى الفضيلة جعلت الحكيم صولون ينصح الأغنياء قائلاً:«أمّا نحن فلن نبادلهم الفضيلة بالمال لأن الفضيلة ثابتة دائماً أمّا المال فيكون حيناً مع هذا وحيناً مع ذاك من البشر».

القديس باسيليوس الكبير

والفلسفة أيضاً تمدح الفضيلة، وهذا ما يقدّمه الفيلسوف بروديكوس (القرن الخامس) في قصة الفضيلة والرذيلة وهي أن هرقل عندما كان شاباً كان متردداً بين طريقين: الأول صعب يقود إلى الفضيلة والآخر سهل يقود إلى الرذيلة. (طبعاً هذا يذكرنا بقول الرب يسوع حول هذين الطريقين). وفي أثناء تردّده يرى هرقل امرأتين، إحداهما الفضيلة والأخرى الرذيلة، وهاتان ورغم صمتهما إلاّ أنّ الفارق بينهما كان واضحاً، فالرذيلة كانت مهتمّة بمظهرها بما يجعلها جميلة للعين، كانت تحاول جذب هرقل نحوها بالإغواء وكانت تَعِدُهُ بمتع أكثر، أمّا الأخرى، وهي الفضيلة، فكانت هزيلة رثّة، وكانت تُثبِّت نظرها نحوه؛ هذه لم تَعِدُهُ بما هو مريح ومُسِرّ بل وعدته بالتعب والضيقاتَ والمخاطر بشكل لا محدود لكن هذا كله جائزته أن يصبح هرقل إلهاً. وهكذا اختار هرقل الفضيلة. إنَّ مدح الفضيلة بالنسبة إلى القديس باسيليوس يجب أن يترافق مع عيش الفضيلة، فهو يُشبِّه من يمدح الفضائل ولا يعمل بها بالمُمثِّل الذي يلعب دور الملك لكنه ليس ملكاً. فعلى الإنسان الذي يمدح الفضيلة أن يتجنَّب الانقسام الداخلي وذلك بأن يعيش الفضيلة أيضاً فلا يكون بذلك تناقضٌ أو انقسامٌ بين أقواله وأفعاله، هذا يماثل الموسيقي الذي يرفض أن يكون لديه في آلته الوترية أوتار غير منسجمة، أو يشبه قائد الجوقة الذي يرفض وجود أصوات غير منسجمة.

يقول القديس:«الإنسان الذي يقول مع افريبيذس (اللسان أقسم فعلاً لكن القلب ما عرف قسماً) ؛ إنسان كهذا يطلب مظهر الفضيلة أكثر من جوهرها، أن يظهر جيداً بينما هو ليس كذلك، هو، إذا احترمنا رأي أفلاطون، أعلى ذروة للظلم ».

نبدأ مع القديس باسيليوس في ذكر بعض الفضائل التي يجب على الشاب أن يمتلكها:

١) الانتصار على الغضب:

يورد القديس حادثة جرت مع بركليس (سياسي من أثينا ٤٩٥-٤٢٩ ق.م.) عندما صار أحد الرعاع يشتمه واستمر بشتمه طوال النهار ولم يكن بركليس يجيبه أو يردّ عليه، وعندما حل المساء أضاء بركليس المصباح ورافق هذا الرجل إلى منزله ليضيء له الطريق. وكان بركليس يريد من هذا أن يتمرن دائماً على الفضيلة وأن لا يخسرها.

وثمّة حادثة أخرى جرت مع الفيلسوف اقليدس من ميغارا (٤٣٥-٣٦٩ ق.م.) إذ ثار عليه إنسان وأراد قتله وأقسم على فعل

ذلك بينما أقسم اقليدس أن يخلصه ويوقف غضب هذا الرجل.

ويروي القديس قصة من حياة سقراط إذ ضربه شخص على وجهه بدون شفقة إلى درجة تورم فيها وجهه فما كان من سقراط إلا أن كتب على جبينه «فلان فعل هذا». كان هذا فقط انتقام سقراط.

يعلّق القديس على موضوع الغضب بقوله: كم يفيدنا أن نضع هذه القصص في ذهننا عندما يأتي الغضب وهنا يرفض القديس استشهاداً من إحدى المسرحيات يقول:« يجب أن نتسلح بالغضب فقط ضد الأعداء» ويُشدِّد قائلاً:«منَ الأفضل ألا نعطي طريقاً للغضب على الإطلاق، ولكن إذا كان هذا الكبح صعباً فعلى الأقل علينا أن نلجُم غضبنا بالتفكير لكي لا نُطلق له العَنان». إنَّ هذه القصص برأي القديس تتوافق مع نظرة الإنجيل إلى الغضب، إذ يقول الرب من ضربك على خدك الأيمن حوِّل له الآخر، ومن خاصمك ليسخّرك ميلاً فامش معه إثنين، ومن خاصمك ليأخذ رداءك فأعطه ثوبك، وأيضاً أحبّوا أعداءكم وأحسنوا إلى مبغضيكم. لذلك يقول القديس عن هذه القصص: «يجدر بشباب مثلكم التشبه بها».أخيراً إذا تدرب الشباب منذ صغرهم على سماع قصص مثل هذه فإنهم لن يرون كلام الإنجيل حول الغضب أمراً مستحيلاً، أو أقوالاً يصعب تطبيقها.

٢) العفة:

يؤكّد القديس أهمية قول الكتاب المقدس حول العفة بأن من نظر إلى امرأة ليشتهيها فقد زنى بها في قلبه، وذلك لأنَّ من ينظر نظرة الشهوة، وإن لم يتمِّم فعل الزنى، إلاّ أنّه بحسب قول القديس:« ليس حراً من الذنب طالما أنّه قَبِلَ الأفكار غير الطاهرة».حول موضوع العفّة يورد القديس قصة من حياة الاسكندر الذي عندما أسرَ ابنتيْ داريوس وكانتا بغاية الجمال رفض أن يُغلَب بالنظر إليهما، واعتبر أنَّه من العار على من غَلَب الرجال أن يُغلَب من النساء.وفي حديثه عن الاهتمام بالجسد، يورد القديس نصائح بشأن العفة فيقول:« الآن يصعُب على الإنسان الذي ليس قلبه نقياً أن ينال المعرفة أكثر مما يصعب على الأعمى أن يرى الشمس». لذلك ينصح، من أجل أن يعرف الإنسان نفسه، أن يُنقّي ذاته فيحفظ عينه من نظرات الشهوة ومن رمي سهام النظرات على الأجساد. كما يتناول في مفهومه حول العفة موضوع الموسيقى فيشدد قائلاً: «لا يجب أن تملأ النفوس بالأنغام الفاسدة أي الأغاني التي تولِّد الأهواء التي تستعبد النفس وتهينها، بل علينا أن نُغني نفوسنا بموسيقى أخرى أسمى ترفع النفس إلى الأعالي. هذه الموسيقى هي التي استعملها داود».

يرى القديس أن للموسيقى أثراً كبيراً على النفس، ويذكر أن فيثاغوروس كان يبُدِّد سكر الرجال بتبديل الأنغام، فكان الرجال يتوقفون عن الشرب ويغادرون إلى منازلهم. لذلك علينا من أجل

جاهدت الجهاد الحسن أكملت السعي حفظت الإيمان

العفة أن نسمع الموسيقى الجميلة مبتعدين عن الأنغام التي تبث في داخلنا نار الشهوة.

أيضاً حول العفة يتطرق القديس إلى موضوع العطور التي تختلط بالهواء وتثير لذّة الشم، وبحسب تعبيره يقول:« إنَّ مجرد تفكيري أن أطلب منكم الامتناع عنها يُصيبني بخجل شديد».

٣) عدم الحلفان:

إنَّ الرب يسوع يمنعنا من الحلفان بأيّ شيء، لا بالسماء ولا بالأرض ولا بالرأس، وهذا ما يرد في حياة كلينيوس تلميذ فيثاغوروس الذي كان بإمكانه أن يتخلص من دفع غرامة لو أقسم اليمين إلا انه رفض أن يحلف رغم أنه كان محقاً.

٤) العمل:

يوصي القديس برفض اللامبالاة والرفاهية، لأنه من الواجب على الإنسان أن يعمل وان يجاهد لكي يبلغ ما يريد تحقيقه، وهنا يوصي أن نشابه الرياضيين الذين لا يحتاجون إلى تعلم الموسيقى بل إلى التمارين الرياضية؛ إنهم يحتاجون إلى ما يساعدهم على تحقيق الفوز. وكذلك حال الموسيقي فإنّه لا يترك الموسيقى ليمارس التمارين الرياضية. ويُقدّم لنا مثل الموسيقي تيموثاوس، الذي لو ترك موسيقاه ليلهو في أمور أخرى لما استطاع أن يصبح من ألمع الموسيقيين في عصره إلى درجة كان قادراً أن يُغيّر المشاعر البشرية بموسيقاه، فقد عزف مرة أمام الاسكندر وجعله يترك المائدة ويحمل سلاحه، ثم غيَّر عزفه فجعله يترك سلاحه ويعود إلى المائدة.

لا يمكن للإنسان بحسب رأي القديس باسيليوس أن يبلغ القوة الحقيقية إلا بالتدريب المستمر والجهاد، وهنا يقول عن الرياضيين: «إنَّ حياتهم قبل السباق ما هي إلا استعداد دائم للسباق »، وهم عندما يدخلون ميدان السباق يجاهدون ويتحمّلون المعاناة والمشاق لكي ينالوا الإكليل ويذكرنا القديس ملمحاً إلى قول الرسول بولس:«ألستم تعلمون أنَّ الذين يركضون في الميدان جميعهم يركضون ولكن واحدًا يأخذ الجُعالة. هكذا اركضوا لكي تنالوا. وكل من يجاهد يضبط نفسه في كل شيء. أما أولئك فلكي يأخذوا إكليلاً يفنى وأما نحن فإكليلاً لا يفنى»(١كور٩:٢٤-٢٥). لا يمكننا أن نحصل على الحياة الأبدية ونحن نُرفِّه أنفسنا ونتنعَّم ؛ كما أنَّه لا يمكننا أن نتساهل في تجاوز الفضائل ونحيا حياة التراخي خاصة أننا صرنا نعرف الخير والشر؛ وهنا يقول القديس:«من أخطأ دون إرادته قد يجد مغفرة من اللّه أما الذي يخطئ عن قصد ويختار الشرّ بملء إرادته فلا عذر له ».

٥) الاهتمام بالنفس لا بالجسد:

يُشدّد القديس أنه لا يجب علينا كمسيحيين أن نُستَعْبَد للجسد، علينا أن نهتم بتغذية الروح وتزويدها بكل ما ينفعها بينما علينا أن نهتم بالجسد فقط بما يسد حاجاته الضرورية؛ لا يجب أن نعطي للجسد أهمية على حساب النفس. علينا كما يقول:«أن نقدّم للمعدة

ما هو ضروري وليس اللذيذ»، فمن يهتم بجسده ويعمل فقط لأجل جسده إنما يشبه من يدفع ضريبة إلى سيد ظالم فهو يتعذب وليس من نهاية لعذابه وليس من فائدة منه. ويستشهد القديس بقول للفيلسوف ديوجين: «ما هو الفرق في نظر الإنسان العاقل سواءً كان يلبس ثوباً بسيطاً أم كان يرتدي ملابس ثمينة طالما أنه محمي من البرد والحر؟».

إنَّ الإنسان الذي يهتم فقط بجسده لا يعرف حقيقة نفسه ولا يعرف الحكمة التي تقول:« ليس ما يرى هو الإنسان لأنّه يتطلَّب من كل واحد منا،كائناً مَنْ كان، مَلَكَات عقلية عالية لكي يعرف نفسه». إنَّ جهادنا لأجل العفة يتطلب منا أن نتجنب ما يثير الشهوات.«وكلّ من يريد أن لا يقع تحت سلطان الشهوات ويغرق في أوحالها عليه أن يحتقر الجسد»، وعليه أن يعتبره وسيلة مساعدة على فلسفة الحياة؛ وهنا يشبه القديس تعليم أفلاطون بأقوال بولس الرسول: « لنسلك بلياقة كما في النهار لا بالبطر والسُكر لا بالمضاجع والعُهر، لا بالخصام والحسد. بل البسوا الرب يسوع المسيح ولا تصنعوا تدبيرا للجسد لاجل الشهوات »(رو١٣:١٣-١٤).وهنا يعطي القديس تشبيها جميلاً حول من يهتم بالجسد مهملاً الروح بالذين يعطون للآلات الموسيقية قيمة بحد ذاتها فيهتمون بالآلات ويتركون الأنغام.

٦) المال والغنى:

إذا سار الإنسان المسيحي بحسب وصية القديس ورفض الاهتمام بالجسد واحتقر الشهوات فإنه سينتصر على تجربة الغنى وحب الفضة إذ يقول القديس:«ماذا يفيدنا المال الوفير إذا احتقرنا الشهوات البشرية؟ أنا لا أرى من المال أي نفع سوى لذة السهر على كنوزنا كما يفعل تنانين الأساطير».لا يليق بنا كمسيحيين، يقول القديس، أن نشتهي الغنى، كما لا يليق أن نتكبر لامتلاكنا الغنى إن كنا أغنياء. هذا يُذكّرنا بقول الرسول بولس:« أوصِ الأغنياء في الدهر الحاضر أن لا يستكبروا ولا يلقوا رجاءهم علَى غير يقين بالغنى بل على اللّه الحي الذي يمنحنا كل شيء بغنى للتمتع »(١تيم٦:١٧). إنَّ الإنسان الذي يُفاخر بغناه بحسب قول سقراط لا يستطيع أن يفاخر إلا إذا عرف كيف يستعمله.إنَّ المتدرب على التحرر من المادة لا يمكنه أن يختار يوماً ما أي شيء غير مناسب؛ وبقدر ما يضبط ذاته وحاجاته يصل بسهولة إلى الغنى. وفي هذا يورد القديس قولاً لديوجين بأنه أغنى البشر لا بل أغنى من الملك لأن احتياجه أقل من احتياجات الملك بكثير.

أخيراً حول الغنى يورد القديس قولين أحدهما لصولون:« لدى البشر ليس هناك نهاية أو حدود لحب المال والثروة»، والقول الآخر لثيوجنس:«إني لا أشتهي الغنى ولا أتمناه..حبذا لو عشت بالقليل غير فاعل الشر». هكذا تكون الفضيلة أفضل من الغنى. وعلينا أن نذكر قول سفر الأمثال:«لا ينفع الغنى في يوم السخط. أما البِرّ فيُنجي من الموت »(أم١١:٤).

رابعاً ـ الخاتمة:

لا أعتقد أن هذه الرسالة تنطبق فقط على عصر القديس باسيليوس، بل هي سارية المفعول في عصرنا الحالي أيضاً، فكم نحن بحاجة إلى الجهاد من أجل الفضيلة، نحن اليوم لسنا بعيدين عن تجربة الغنى السريع بالطرق الرخيصة، ولسنا في أمان من النار التي تثيرها الموسيقى والعطور وحب الجمال؛ إننا نسير كل يوم فوق جمر الشهوات ونتعذب ونتألم من أمراض الكآبة واليأس.

رسالة القديس إلى الشباب هي قبل كل شيء رسالة ونصيحة إلى الأهل، فإذا أرادوا تربية أولادهم تربية مسيحية عليهم أن يمهِّدوا لهم فهم الإنجيل عن طريق تقديم الكتب والقصص والألعاب والأفلام التي يمكن أن تنمي الفكر على معرفة الحقيقة وعلى فهم الكتاب المقدس. ليكن كل شيء في حياتنا نافعاً ومدروساً وهادفاً لكي يقودنا الفكر الصحيح، كما يقول القديس في نهاية رسالته، حتى لا نهرب من معركة الفضيلة.

رسالة القديس باسيليوس **للشباب المسيحي** هي أن يدرسوا الكتاب المقدس وأن يفهموه لكي يقودنا إلى حياة الفضيلة، وهي الحياة الأفضل لأنها وحدها تبقى بعد الموت لا بل تقود إلى الحياة الأبدية .

صرفة صيدا

في أثناء ثلاث سنوات ونيّف من الجوع في أيام **آحاب الملك**، أرسَلَ اللّه إيليا ـ الذي أعلن هذا الحُكم على إسرائيل ـ إلى مدينة فينيقيّة هي «صرفة التي لصيدون» إلى أرملة هناك لتعولَه ، إلى أن تنتهي المجاعة ، رغم أنه لم يكن لديها سوى «ملء كفٍّ من الدقيق في الكوار وقليلٌ من الزيت في الكوز» (١مل١٧: ١٨-١٦). ثمّ مات ابن الأرملة ، ولكن إيليا صرَخَ إلى الربّ من أجله، فأقامه الربّ من الموت ، فردّه إيليا إلى لأمّه (١مل١٧:١٧-٢٤).

وكانت المدينة تقع على بُعد نحو ثمانية أميال إلى الجنوب من صيدون على ساحل البحر المتَوسط على الطريق إلى صور. وقد تنبأ عوبديا قائلاً: «وسبي هذا الجيش من بني إسرائيل يرثون الذين هم من الكنعانيين إلى صرفة»(عو ٢٠).

وقد وردَ اسم «صرفة» في نصوص أوغاريت (رأس شمرا) من القرن ١٤ قبل الميلاد ، وكذلك في البَرديّات المصريّة من القرن الثالث قبل الميلاد ، مع بيبلوس وبيروت وصيدون وصور،باعتبارها أهم مدن الساحل الشرقي للبحر المتوسط. ويذكر كلٌ من **سنحاريب وآسرحدون** ، أنه قد استولى على «صرفة» (التي تُذكَر بالنقوش الأشوريّة باسم "صربتو").

وفي سنة ١٩٦٩ بدأ جيمس ريتشارد من جامعة بنسلڤانيا في التنقيب في موقع قديم بجوار قرية صرفند ، وأسفر التنقيب على أنه كانت تربطها صلة قويّة بالعديد من المدن الفينيقيّة ، وكذلك بمدن قرطاجنّة في غربي البحر المتوسط. وقد وجدَ فيها نماذج غير عاديّة من الأواني الفخاريّة والأساليب المعماريّة ، ورموز الإلهة "تانيت" ، التي اكتُشفَ مثلها في قرطاجنّة من قَبْل، كما في بعض المواقع في صقليّة وسردينيا، مما يشهد بأن الحضارة الفينيقيّة قد انتشرت من ساحل لبنان إلى غربي البحر المتوسط.

«وبينما هما هناك تمت ايامها لتلد، فولدت ابنها البكر وقمطته واضجعته في المذود» (لو٢: ٦-٧)

للقديس كيرلس الأسكندري

مفهوم كلمة البكر:

ما هو معنى بكرها؟ ان معنى البكر هنا ليس أنه الأول بين أخوة عديدين، بل هو ابنها الأول والوحيد، فان هذا المعنى هو من بين المعاني التي تفسر بها كلمة «البكر». لأن الكتاب المقدس أحياناً يسمى الوحيد بالأول كما هو مكتوب «أنا اللّه، أنا الأول وليس هناك آخر معي» (أش ٤٤: ٦سبعينية). فلكي يتضح ان العذراء لم تلد مجرد انسان، لذلك أُضيفت كلمة «البكر»، وحيث انها ظلّت عذراء فلم يكن لها ابن آخر الا ذلك هو من اللّه الآب، والذي بخصوصه أعلن اللّه الآب ايضاً بصوت داود «أنا أيضاً أجعله بكراً، أعلى من ملوك الأرض» (مز ٨٨: ٢٧).ويقول عنه بولس الكلي الحكمة ايضاً: «متى أدخل البكر الى العالم يقول، ولتسجد له كل ملائكة اللّه» (عب١: ٦) ، فكيف اذن دخل إلى العالم؟ لأنه منفصل عن العالم، ليس من جهة المكان بقدر ما هو من جهة الطبيعة. فإنه يختلف عن سكان العالم في الطبيعة، ولكن دخل الى العالم بأن صار انساناً، وبذلك **صار جزءاً من العالم بالتجسد**. ورغم انه هو الابن الوحيد من جهة الوهيته، الا أنه لكونه صار أخاً لنا، فقد أصبح له اسم «البكر» ، ولكي يصير هو الباكورة لتبني البشرية، فانه يمكن ان يجعلنا ايضاً أبناء اللّه. لذلك لاحظوا، انه يدعى البكر من جهة التدبير[1] .

لأنه من جهة الوهيته هو الابن الوحيد. وايضاً فانه الابن الوحيد من جهة كونه كلمة الآب الذي ليس له أخوة بالطبيعة ولا يوجد اي كائن مشترك معه. لأن ابن اللّه المساوي للآب، هو واحد ووحيد، ولكنه يصير بكراً بتنازله الى مستوى المخلوقات. لذلك حينما يدعى الابن الوحيد، فانه يدعى هكذا دون ان يكون هناك سبب آخر لكونه الابن الوحيد إذ هو الاله الوحيد الجنس الذي في حضن الآب (يو١: ١٨) ، ولكن حينما تدعوه الكتب الالهية «بالبكر» فانها تضيف حالاً علة السبب الذي من أجله حمل هذا اللقب فتقول الكتب: «البكر بين أخوة كثيرين» (رو٨: ٢٩)، وايضاً «البكر من الأموات» (كو١: ١٨)، ففي المرة الأولى دُعي «بكراً بين إخوة كثيرين» بسبب انه صار مثلنا في كل شي ما عدا الخطية. وفي المرة الثانية دُعي «البكر من الأموات» لأنه هو الأول الذي أقام جسده الى حالة عدم الفساد. وأيضاً هو كان دائماً منذ الأزل الابن الوحيد بالطبيعة، لكونه الوحيد المولود من الآب، اله من اله، وحيد من وحيد، اله أشرق من اله، نور من نور، ولكنه هو «البكر» لأجلنا نحن حتى عندما يدعى بكراً للمخلوقات فإن كل من يشابهه يخلص بواسطته. فإن كان هو بالضرورة يصير «البكر» فبالتأكيد لابدّ ان يكون هناك اولئك الذين يكون هو بكراً لهم. ولكن ان كان ـ كما

فولدت ابنها البكر وقمطته واضجعته في المذود

يقول يونوميوس ـ انه يدعى بكر اللّه المولود الأول بالنسبة لكثيرين، وانه هو ايضاً بكر العذراء، ففي هذه الحالة اذن يلزم ان يصير هو الأول قبل طفل بعده بالنسبة لها. ولكن ان كان يدعى بكر مريم باعتباره ابنها الوحيد وليس هناك من يأتون بعده، اذن فهو ايضاً بكر اللّه لا كالأول بين كثيرين، بل هو المولود الواحد الوحيد.

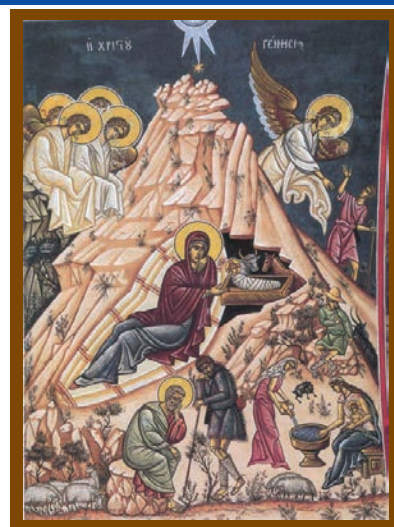

وبالاضافة الى ذلك ان كان الأول يعترف به انه علة الثاني، فإن اللّه هو الأول، وحينئذ فالابن هو علة أولئك الذين نالوا لقب الأبناء، لأنهم بواسطته قد حصلوا على هذه التسمية لذلك وهو علة وجود الابناء الذين اتوا بعده فانه يدعى البكر بحق. لا لأنه هو أولهم، بل لكونه العلة الأولى لحصولهم على لقب التبني. وكما ان الآب يدعى الأول لأنه يقول: «انا الأول وأنا بعد هذه الاشياء» (أش٤١: ٤)، وهو بالتأكيد لا يريدنا ان نعتبره انه مشابه في الطبيعة لأولئك الذين يأتون بعده، هكذا ايضاً فرغم ان الابن يدعى بكر الخليقة، او البكر قبل كل خليقة، فهذا ليس معناه انه واحد من الاشياء المخلوقة، بل كما ان الآب قال: «أنا الأول» لكي يوضح انه اصل كل الاشياء فبنفس المعنى يدعى الابن ايضاً بكر الخليقة. «فان كل الاشياء خلقت به» (يو١: ٣). فكخالق وصانع للعالم، هو بداية كل الاشياء المخلوقة وأصلها.

«وأضجعته في المذود اذ لم يكن لهما موضع في المنزل» (لوقا٢: ٧):

لقد وجد ان الانسان قد تدنى الى مستوى الحيوانات، لذلك فانه وُضِعَ مثل علف في المذود، لكي حينما نخلع حياتنا الحيوانية، نرتفع الى درجة العقل والبصيرة التي تليق بطبيعة الانسان. وبينما كنا متوحشين في نفوسنا، فاننا الآن باقترابنا من المذود، اي «مائدته الخاصة»[2]، فانا لا نجد علفاً بعد، بل الخبز الذي من السماء الذي هو جسد الحياة.

١) اصطلاح: «التدبير» يستعمله القديس كيرلس وكل الآباء ليعبروا به عن خطة اللّه وقصده لتتميم خلاص الانسان عن طريق مجيء ابن اللّه في الجسد واتحاده بطبيعتنا وتتميمه الفداء بالموت والقيامة.

٢) واضح ان القديس كيرلس يتحدث عن تناول الافخارستيا التي يشترك فيها المؤمنون نتيجة التجسد.

إنّ الأبن الوحيد الجنس قد صار إنساناً، حتى إذ يولد من إمرأة حسب الجسد، يعيد الجنس البشري فية من جديد. القديس كيرلس الكبير

صار آدم، الأنسان الأول، نفساً حيّة، وآدم الأخير روحاً مُحيياً

يرد لفظ آدم، في العهد القديم في العبرية حوالي ٥٠٠ مرة للتعبير عن «الإنسان» أو «الجنس البشري». وخارج الأصحاحات الخمسة الأولى من سفر التكوين ، لا نجده بالقطع اسماً علماً على الإنسان الأول إلا في الأخبار الأول (١ : ١) ، ولربما أيضاً في التثنية (٨:٣٢) ، أيوب (٣٣:٣١« كالناس» في العربية) ، وهوشع (٧:٦) ، كما أنه يذكر في العبرية مرتين في الأصحاح الأول من التكوين في العددين ٢٦و ٢٧، ويذكر ٢٦مرة في الأصحاحات الثاني والثالث والرابع ، ويذكر كذلك في الأعداد ١ و ٣و٤ و٥ من الأصحاح الخامس . وواضح قطعاً ، أنه في الأصحاح الخامس وكذلك في العدد الخامس والعشرين من الأصحاح الرابع هو اسم علم للإنسان الأول .

والإسم يحتمل معنى :**خليقة ، أحمر ، مولود الأرض (أديم). وقد يعني شهي (للنظر) ،اجتماعي**. والمعنيان الثاني والثالث يجمع بينهما العدد السابع من الأصحاح الثاني من سفر التكوين .

١) آدم في سفر التكوين :

يركز الأصحاح الأول على اللّه وأعماله في الخليقه ، ثم تأتي خليقة الإنسان في العدد السادس والعشرين وما بعده كتتويج لعملية الخلق ، رغم أن بعض الحيوانات قد خلقت في نفس اليوم الذي خلق فيه الإنسان . ولا يرد ذكر للذكر والأنثى إلا في خليقة الإنسان (عدد٢٧)، وهذا دليل على أن اللّه خلق زوجاً واحداً من البشر ، وقد خُلق الإنسان على صورة اللّه (٢٦و٢٧) وأعطي سلطاناً على كل المخلوقات على الأرض (٢٨–٣٠) . أما الأصحاح الثاني من التكوين ، فهو ليس قصة أخرى للخلق ، ولكنه إبراز لبعض النقاط التي تركز على الإنسان. وهو شديد الارتباط بالأصحاح الثالث، فهو بمثابة مقدمة له .

خلق اللّه الإنسان من تراب الأرض، « ونفخ في أنفه نسمة حياة فصار آدم نفساً حية » (تك٢:٧) ، ثم وضعه في جنة عدن (تك٢ : ٨ و١٥) وأوصاه ألا يأكل من شجرة معرفة الخير والشر (تك٢: ١٦ –١٧:). ودعا آدم كل الحيوانات والطيور بأسمائها ، ولكن لم يكن فيها ما يصلح رفيقاً لآدم ، وهكذا صنع له اللّه حواء من جسد آدم (تك٢:٢١–٢٣) وقد عاشا معاً في براءة كاملة (تك٢:٢٥) . ويروي الأصحاح الثالث قصة سقوط الإنسان بغواية الحية الماكرة التي ألقت الشكوك على صدق اللّه ، وأثارت كبرياء الإنسان (تك٣: ١– ٥). وهكذا وقعت حواء في حبائل الحية وبعدها سقط آدم (تك٣: ٦–٧) ، ومما يلفت النظر أنهما على الفور عرفا أنهما قد وقعا في الخطية ، فحاولا الاختباء من اللّه (تك٣:٨) قبل أن يُطردا من الجنة (تك٣:٢٢). وقد شمل عقاب اللّه لهما :

أ) دوام العداوة بين نسل المرأة والحية . ب) لعنة التربة التي يعتمد عليها الإنسان في حياته على الأرض (تك٣:١٧–١٩) .

ج)أوجاع الحمل والولادة لحواء .

وبعد ذلك ولد آدم قايين وهابيل (تك٤:٢) . وبعد مقتل هابيل ، ولدت حواء شيثاً ، عندما كان آدم ابن مئة وثلاثين سنة (تك٤:٢٥، ٥:٣ ـ وقد جاء في الترجمة السبعينية أنه كان ابن مائتين وثلاثين سنة). ومات آدم وهو ابن تسع مئة وثلاثين سنة (تك٥:٥). ولم يرد اسم آدم بعد ذلك في العهد القديم إلا في (١أخ١:١) وما بعده : ويبدو عجيباً أن أحداث الأصحاحات الأربعة من سفر التكوين ، لا تذكر في أسفار العهد القديم الأخرى ، وذلك لأن بني إسرائيل كانوا يفخرون بانتسابهم إلى إبراهيم وليس لآدم .

فطرد الإنسان، وأقام شرقي جنة عدن الكروبيم، ولهيب سيفٍ متقلب لحراسة شجرة الحياة. (تك٣:٢٤)

٢) الشبه المزعوم بين قصة التكوين وأساطير ما بين النهرين :

إن وجه الشبه بين أساطير بلاد بين النهرين ، وقصة التكوين عن الخليقة ، أضعف جداً منه فيما يختص بقصص الطوفان. فنقاط التشابه ضعيفة وباهتة، وواضح أنها لا ترجع إلى مصدر واحد. ففي أساطير مابين النهرين، كان الهدف من خلق الإنسان هو إيجاد قوة عاملة ، ليتحرر الآلهة من مشقة العمل ، ولا أثر لهذا الفكر في سفر التكوين ، حيث لم يصبح عمل الإنسان شاقاً إلا بعد طرده من الجنة. كما أن كيفية الخلق تختلف اختلافاً كلياً ، إذ نجد في تلك الأساطير أن الإنسان خُلِقَ من دم وجسد إله بعد ذبح ذلك الإله ، ثم خلط ذلك بتراب الأرض ، ثم تَفَلَتْ الآلهة على الخليط (في بعض الروايات) ، وهكذا خلق الإنسان .

٣) المفهوم الكتابي:

تذكر خليقة الإنسان بكل دقة وتفصيل في سفر التكوين ، فهو ليس اللّه ، ولم يأخذ شيئاً مادياً من الكائن الأسمى أو من أي كائن سماوي. كما أنه منفصل ومتميز تماماً عن كل صور الخليقة الأخرى ، فهو الكائن الوحيد الذي «نفخ اللّه فيه نسمة حياة» (تك٢ :٧). ونقرأ عقب كل مرحلة من مراحل الخلق هذه العبارة : «ورأى اللّه ذلك أنه حسن» (تك ١:١٠و١٢و١٨و٢١و٢٥)، أما بعد خلق الإنسان فنقرأ : «ورأى اللّه كل ما عمله فإذا هو حسن جداً» (تك١:٣١). وفي ذلك إشارة الى أن خلق الإنسان هو ذروة الخلق وغايته ، فالإنسان هو المخلوق الذي يقف على الخط الفاصل بين اللّه وبين سائر الخليقة ، فهو من تراب الأرض ولكنه خُلق على صورة اللّه وأُعطيَ سلطاناً على كل الأرض. وهناك آراء كثيرة لتفسير عبارة « على صورة اللّه»، ولكن أكثرها قبولاً هو أن الإنسان خُلِقَ كائناً روحياً مستقلاً ، له امكانية الشركة مع خالقه ، التي نجد الإشارة إليها في اللقاءات عند «هبوب ريح النهار» (تك٣:٨). فالإنسان شغل مكانة سامية في خليقة اللّه حتى قال المرنم متعجباً

«من هو الإنسان حتى تذكره . . . وبمجد وبهاء تكلله . تسلطه على أعمال يديك . . . . » (مز ٨) المجد والجلال للّه وحده (مز٨:١و٩) .

ولكن عصيان آدم شَوَّه هذه العلاقة. ولنلاحظ أن الخطية لم تكن أصلاً في الإنسان ، بل كانت غريبة عنه قبل السقوط ، ولكنها بدخولها إلى العالم ، دمرت كل ماهو صالح ، ليس في الإنسان فحسب ، بل في الخليقه . وكلمة «الإنسان» في التكوين (تك٣:٢٢) تعني أن ما حدث قد شمل الجنس البشري كله .

٤) آدم في أسفار الأبو كريفا والكتابات المزيفة :

في الأسفار اليهودية غير القانونية ، يضعون آدم في مكانة أسمى من أي إنسان آخر ، ففي سفر يشوع بن سيراخ ، نجد في نهاية أسماء كثيرين من أبطال إسرائيل : «وفوق كل نفس في الخلق آدم » (٤٩:١٦) هذا السفر غير معترف به عند البروتستات ، فهو في نظرهم من الكتب غير القانونية ، كما نجد في سفر أخنوخ الثاني: «الملاك الثاني المكرم المعظم والممجد»(٢أخنوخ٣٠:٨). كما نجد أيضاً بوضوح أن أثر خطية آدم قد امتد وشمل كل الجنس البشري ، فنقرأ في سفريّ عزرا ونحميا، أي في أسدراس الثاني (٣:٢١) («لآن آدم الأول قد حمل قلباً شريراً فانهزم وتعدى ، وليس هو فحسب ، ولكن كل المولودين منه» وأيضاً : «لأن بذرة الشر زرعت في قلب آدم منذ البداية، وما أعظم ما أنتجته من فجور حتى الآن . . . » (٢ أسدراس ٤:٣٠). ونجد هذين المفهومين مجتمعين في كتابات فيلو (فيلسوف يهودي عاش في القرن الأول الميلادي ، وهو يمثل اليهودية الهيلينية) ، وقد ميز فيلو بين الإنسان الأول (تك١) ، الإنسان السماوي غير المخلوق وهو أكثر من مجرد فكرة تُمَثِّل كمال البشرية في فكر اللّه ، وبين الإنسان الثاني (تك٢) ، وهو الإنسان الترابي ، آدم التاريخي وجَدّ البشرية الخاطئة .

٥) آدم في العهد الجديد :

(أ) في الأناجيل : لما سئل المسيح عن ناموس الطلاق (مت ١٩:٣–٩، مرقس١٠:٢–٩) أشار إلى خلق آدم وحواء (دون أن يذكر اسميهما) ، وبيّن الطبيعة الجوهرية لرابطة الزواج في فكر اللّه أصلاً (انظر تك١:٢٧،٢:٢٤)، وأما ما جاء عن الطلاق في ناموس موسى ، فهو أمر ثانوي سمح به «لأجل قساوة قلب» الإنسان (مت١٩:٨) . سبق أن ذكرنا أن اليهود كانوا يميلون إلى العودة بنسبهم إلى إبراهيم أبي الأمة ، وهو ما يظهر في سلسلة النسب في متى (مت١:١–١٧) ، أما لوقا الذي يتوجه بإنجيله إلى الأمم ، فيذهب بنسب المسيح إلى آدم أب الجنس البشري (لو٣: ٢٣–٣٨)، وهي المرة الوحيدة التي يذكر فيها «آدم» بالاسم في الأناجيل .

(ب) في الرسائل :

توجد إشارة تاريخية إلى آدم في رسالة يهوذا (١٤) حيث يذكر أن أخنوخ هو السابع من آدم. كما يستند الرسول بولس على حقيقة خلق آدم قبل حواء (التي أُخذت منه) لبيان أفضلية الرجل أساساً فيما يتعلق بالعبادة الجمهورية (١كو١١:٨، ١تيمو٢: ١٣ و١٤) ، ويؤيد ذلك بالإشارة إلى أن حواء هي التي خطت الخطوة الأولى نحو السقوط (١تيمو٢:١٤). كما توجد إشارة بعيدة إلى آدم بالمقارنة مع المسيح : «الذى لم يحسب خلسة أن يكون معادلاً للّه»

إنّ سرّ التدبير الإلهيّ: تمّ بتجسّد كلمة الله في أحشاء البتول من دمائها الطاهر، ثم صلبه وقيامته الظافرة (عمل الفداء)، وصعوده المجيد إلى السموات، حيث قوله الإلهيّ: قد أتيت لتكون لهم حياة وليكونَ لهم أفضل.

بينما استجاب آدم لتجربة أن يكون « كاللّه عارفاً الخير والشر» (تك٣:٥) فأكل من الشجَرة التي نهاه اللّه عنها (تك٣:٢٢مع في٢:٦). وأول الإشارات الثلاث التي لها أهمية بالغة فيما كتبه الرسول بولس، نجدها في رسالة كورنثوس الأولى (١٥:٢٢) حيث يذكر اشتراك كل الجنس البشري في تعدي آدم ، وأنه إذا كان هناك هذا **الرباط الوثيق بآدم في الموت** ، **فهناك الارتباط الوثيق بالمسيح للحياة** ، وهو الموضوع الذي يشرحه بتفصيل أكبر في رومية (٥:٢٢) .

وفي حديثه عن القيامة (١كو١٥:٤٥–٤٩) يذكر اختلافاً أصيلاً بين طبيعتي الممثلين العظيمين للإنسان: **آدم « الإنسان الأول»** ، **والمسيح «الإنسان الثاني»** فالأول جبل من التراب مخلوقاً من لحم ودم ، كائناً فانياً قابلاً للفساد ، وكل الناس بناء على حقيقة ارتباطهم العرقي الوثيق بآدم يشتركون في هذه الطبيعة التي لا تستطيع أن ترث ملكوت اللّه . أما المسيح ـ في مفارقة واضحة ـ فهو الرب من السماء ، كائن روحي سرمدي غير قابل للفساد ، وهو روحي محيي ، وكل الذين له يشتركون في طبيعته ويحملون صورته . والدرس المستفاد من ذلك ، هو أن القيامة يجب ألا تُحمل على مفهوم مادي فحسب ، بل هي في تحقيق هذه العلاقة بالمسيح، في مشاركته طبيعته الروحية الخالدة (١كو١٥:٥٣و٥٤) . كما نجد مقارنة بين ارتباط الجنس البشرى بآدم ، وارتباط المفديين بالمسح ، وذلك في رومية (٥:١٢–٢١) . والموضوع هنا هو عمل المسيح في الفداء ، فخطية آدم قد جعلت كل الجنس البشري تحت الدينونة والموت ، ﴿ولا يذكر هل هو موت روحي أو جسدي ، وإن كان الأرجح أنه يعني الاثنين. كما أنه ليس ثمة اختلاف بين هذا الجزء بتأكيده على عمل آدم عملاً خاطئاً ، وبين ١كو١٥:٤٥٠٩ حيث يؤكد على طبيعة آدم الخاطئة ، وحيث لا ذكر لخطية آدم ولعمل المسيح الكفاري ، وإن كان الأمران يشكلان أساس الحوار﴾.

وهذا التورط في خطية آدم ينطبق على كل الأجيال السابقة لناموس موسى، الذي حدد الأشكال الرئيسية للمعاصي . ويعترض البعض بأن تعليم بولس يعوزه الأساس الأخلاقي بالنسبة للفرد ، إذ يبدو منه أن الناس يهلكون بسبب فساد موروث

أو لأنهم شركاء في خطية آدم . وفي الحقيقة يبدو أن الأمرين صحيحان في نظر بولس (حيث أن الثاني نتيجة للأول) كتفسير منطقي لشمول الخطية لجميع الناس ، كما يذكر في أماكن أخرى (مثلاً رومية٣:٩-٢٣) . وكيفية انتقال الخطية ليس هو الموضوع الرئيسي هنا ، فعندما تعدى آدم دخلت الخطية إلى العالم . ويرى بولس أن الخطية قوة جبارة لها تأثيرها على جميع الناس حتى فيمن سيتبررون (رومية ٧) ، إلى أن تَدَخَّل المسيح تدخلة الفعّال . وعلى أي حال ، لم يكن هذا مفهوماً فجّاً أو آلياً للتأثيرات الرهيبة القاتلة التي للوراثة ، فهو يبين بوضوح مسئولية الفرد الأدبية في قوله : «اجتاز الموت إلى جميع الناس إذ أخطأ الجميع» (رومية ٥ :١٢) . لكن الموضوع الرئيسي في رومية (٥) هو المفارقة الواضحة بين **آدم والمسيح** باعتبارهما رأسين للجنس البشري ، وهذه المفارقة الحادة بين أثر خطية آدم الواحدة في التعدي ، وبين بر المسيح الواحد ، فلا يوجد تكافؤ بين الاثنين ، فعمل المسيح يفوق بما لا يقاس ، في نتائجه النهائية ، حيث يمحو الأثر الشرير لمعصية آدم. وعمل المسيح كان هبة مجانية من جري خطايا كثيرة ، كان يجب ـ منطقياً ـ أن تنال قصاصها العادل . وهذه الهبة المجانية ـ التي لا يستحقها الإنسان في ذاته ـ جاءت للإنسان بالتبرير والغفران والحياة .

والتركيز هنا هو على نعمة اللّه المجانية التي ملكت ، وجعلت من موقف الموت ، موقفاً للحياة بعمل المسيح الكامل ، فصار الرأس الروحي الجديد للبشرية المستردة ، وذلك بالمقابلة الواضحة مع آدم الذي كان الرأس الطبيعي الأول للجنس البشري . وثمة ملحوظة أخيرة هي أنه في كل هذه الإشارات لآدم في العهد الجديد ، نجد أن المسيح وتلاميذه قد أقروا بالحقيقة التاريخية عن وجود آدم ، الإنسان الأول ، وسقوطه كما هو مدون في الأصحاحات الأولى من سفر التكوين .

الماء والروح في الكتاب المقدس ، وعظمة سرّ المعموديّة

الماء والروح :

قال القديس يوحنا الذهبي الفم تأملاً عميقاً حول «الماء ودوره في الكتاب المقدس»:

في وقت إبداع العالم «كان روح اللّه يرف على وجه المياه» (تك١:٢)، ولما غضب اللّه على البشر بسبب الخطيّة **أغرَقَ العالم بالماء** (تك٧:١٧).، ولما سكن غضبه جعل **قوس قزح** في السماء علامة لسكون غضبه وإثباتاً لعهد السلام (تك٩:١٢) ، وما تلك العلامة سوى **بخار وماء** !! فالماء المقدس مرموزٌ اليه هنا بالماء ، والروح مرموزٌ اليه بالبخار ، ولما أراد اللّه خلاص بني إسرائيل من العبودية **أغرق فرعون وجنوده في الماء**. (خر١٤:٢٦)، ولما أراد أن يعطي الكهنوت لهارون لم يكن ذلك إلا بعد غسل **جسده بالماء** (خر٢٩:٤). كذلك الكهنة لم يُقبلوا في خدمة قبة الشهادة إلا بعد **إغتسالهم بالماء** (خر٣٠:١٧)، كذلك يوحنا المعمدان **جاء يعمّد التائبين بالماء** (مر١:٤)، فهذه كلها **كانت رموزاً لمعمودية الروح والماء** ، وهاقد بَطُلَت تلك الرموز وحلّت مكانها الحقائق، فإنّنا نرى في الكتاب المقدس **ربّنا يسوع المسيح صاعداً من الماء** والسموات مفتوحة والروح القدس نازلاً عليه كحمامة ونسمع صوتاً يقول: «هذا هو ابني الحبيب الذي به سررت» (متى٣:١٦).

أنواع المعمودية:

المعمودية أربعة أنواع:

١) **معموديّة الماء والروح** التي أشار اليها الرب يسوع في حديثه مع نيقوديموس.

٢) **معمودية النيّة والإيمان** في وقتٍ لا تسمح ظروفه بالعماد مثل اللص اليمين (لو٢٣:٤٢).

القديس غريغوريوس اللاهوتي

٣) **معموديّة الدم** وهي التي إعتمد بها ربّنا يسوع المسيح بإهراق دمه على الصليب بدليل قوله لابني زبدى: «أتستطيعان أن تشربا الكأس التي أشربها أنا وأن تصطبغا بالصبغة التي أصطبغ بها أنا» (متى ٢٠:٢٢)، وبهذه الصبغة أيضاً إعتمد الشهداء والأبرار كما يقول القديس غريغوريوس الناطق بالإلهيات ضمن عظته في الظهور الإلهي (عيد الغطاس).

٤) هي **دموع التوبة** وهي التي سنّها الربّ يسوع المسيح «وقت مَنْحه السلطان لتلاميذه بحلّ وربط الخطايا» (يو٢٠: ٢٣).

تلك هي الانواع الأربعة للمعموديّة، ومن أجمل ما قيل في بَرَكَة المعمودية، كلمة قالها القديس غريغوريوس النزينزي: «كما أنّ في أحشاء الأم قوّة لمنح الحياة الجسديّة، هكذا في ماء المعمودية ننال قوّة لمنح الحياة الروحيّة» .

المسيح نفسه قدّس المعمودية :

أجل لقد قدّس الماء بعماده ليعدّ لنا التقديس والتبني بالنعمة، لقد طهّر عنصر الماء باصطباغه في نهر الأردن، وأعدّ لنا الروح القدس لتطهيرنا وتبريرنا باعتمادنا باسمه القدوس .. وحَوْلَ هذا المعنى السامي ينشد القديس يعقوب السروجي ويقول: «تعال يا ابن يسّى وهات معك ترتيلك لنفرح اليوم في عرس ربّك، شدَّ أوتار قيثارتك واكشف وفسّر لماذا ارتعب النهر، وأية قوّة حرّكت الأعماق، نَظَرَتْكَ المياه وخافت بنزولكَ فيها!!».

الأب: انتوني م. كونياريس

قانون إيمان لكل العصور

الرسل الأطهار

قاعدة الأيمان

إبن اللّه الوحيد المولود من الآب قبل كل الدهور

يمضي قانون الإيمان ليضيف إلى تعريفه لشخص يسوع المسيح أنه: «ابن اللّه الوحيد، المولود من أبيه قبل كل الدهور .. مولود غير مخلوق». من الكلمات الهامة هنا: «مولود غير مخلوق». إنها تخبرنا بشيء هام جداً عن يسوع.

من خلال المعموديّة المقدَّسة والإيمان بالمسيح نصبح جميعنا أبناء اللّه، ومع ذلك يظل يسوع هو ابن اللّه الوحيد والفريد، الـ«المولود غير مخلوق». يعطي الفيلسوف س. إس. لويس شرحاً مدهشاً للمعنى العميق لهذه الكلمات عندما يكتب:

«إننا لا نستخدم كثيراً الكلمة مولود في اللغة الإنجليزية الحديثة، ومع ذلك فكل واحد منا يعرف معنى الكلمة. أن تلد، فهذا يعني أنك تصير أباً لمن تلده، أمّا أنَّك تخلق فهي تعني أن تصنع، والفرق واضح، فعندما تلد، إنك تنجب شخصاً من نفس نوعك، فمثلاً الإنسان يلد أطفالاً بشريين، الأسد يلد أشبالاً صغيرة، أمَّا عندما تصنع شيئاً، فإنّك تعمل شيئاً مختلفاً عن نفسك، فالأسد مثلاً يصنع عريناً، الإنسان يعمل شبكة لاسلكيَّة ..

هذا هو أول شيء يلزم إيضاحه، إن ما يلده اللّه هو إله تماماً مثلما يلد الإنسان إنساناً، وما يصنعه اللّه ليس إلهاً، تماماً مثل أن ما يصنعه الإنسان ليس إنساناً. هذا هو السبب في أن البَشَر ليسوا أبناءً للّه بالمعنى الذي يتضمّنه المسيح (من جهة علاقته بأبيه). قد يكون البَشَر أبناء اللّه مِن جهة طُرق مختلفة، ولكنهم ليسوا من نفس النوع (الجوهر)» مثل اللّه أبيهم. (المسيح ابن اللّه بالطبيعة، بينما الإنسان ابن اللّه بالتبني.

لذلك، فإن يسوع هو ابن اللّه الفَريد الوحيد، إنه مولود من الآب قبل كل الدهور. يقول يسوع: «قبل أن يكون إبراهيم أنا كائن» (يو٨:٥٨). إنه مولود من الآب منذ الأزل، وبتعبير آخر، فإن ما يلده اللّه الآب هو إله، إنه من نفس النوع مثله. ونحن أيضاً أبناء للّه، ولكننا لسنا مولودين منه مثل يسوع. نحن أبناء اللّه المخلوقين، أمَّا يسوع فهو فقط الذي يمكن أن يُقال عنه: «اللّه لم يره أحد قط، الابن الوحيد الذي هو في حضن الآب هو خَبَّر».(يو١:١٨).

نورٍ من نور

قال ملك وثني لمعلِّم (رابّي) يهودي: إن لم تُحضر إلهك في القصر، فسوف تُدحرج رقبتك في الشارع.

قال له الرابّي: «بالتأكيد أيها الملك العظيم، ولكنا دعنا نخرج أولاً إلى الشمس المشرقة لأريك شيئاً».

ذهب معه الملك، فقال له الرابّي: «حَدِّق بالشمس أيها الملك» حاوَلَ الملك جاهداً أن ينظر ولكنه لم يقدر، فقال للرابِّي: «إني لا أستطيع أن أنظر إلى الشمس فهي تؤذي عينيَّ».

قال له الرابّي: «أخبرني بحقِّ السماء كيف تتوقَّع أن ترى وجه اللّه وجهاً لوجه، إن كنتَ لا تقدر أن تنظر إلى الشمس التي هي مجرَّد واحدة من الأشياء الكثيرة التي خلقها اللّه ؟».

إن اللّه هو شمسنا بطرق متعدّدة، فهو يبعث الضوء في أُعجوبة الدُّنيا التي هي الحياة، إنه مصدر الطاقة لنا، إنه يجعل الحياة والنمو ممكنَيْن. ولكن بحسب قصّة الرابِّي فإن اللّه يضيء بشدِّة لدرجة يتعذَّر معها للإنسان أن ينظر إليه وجهاً لوجه، بل وحتى الملائكة ـ السيرافيم ـ يُغطّون أعينهم بأجنحتهم في حضرته. أمَّا اللّه، ففي محبته اللانهائية فإنه عمل شيئاً غير محدود بخصوص ضوئه وبهائه الفائق، فإنه صار إنساناً في يسوع، حتى يمكن بتلك الوسيلة أن يخفض بهاءه العظيم كي يمكننا أن نراه وجهاً لوجه ونرى: «مجده، مجداً كما لابن وحيد أبيه» (يو١:١٤). يقول يسوع: «أنا هو نور العالم. من يتبعنيً فلا يمشي في الظلام بل يكون له نور الحياة» (يو٨:١٢).

مَن يتبع يسوع اليوم يكون له نور الحياة، ولن يتيه في ظُلمة الحيرة، إنه يعرف أبعاد الحياة، ويعرف ما يتوقّعه بعد القبر، ويوجَد داخله لهيبٌ يُسَبِّب تجليّاً لوجهه وحياته، لأن داخله يعيش الإله الذي هو: «نور من نور».

يقول القديس كليمنضوس الروماني: «إننا من خلال المسيح نرى ـ كما في مرآة ـ وجه اللّه البارع النقيّ، ومن خلاله نذوق المعرفة غير المائتة ...».

النفس هي هيكل اللّه، والقلب هو المذبح المقدس الذي عليه تقدّمَ ذبائح التسبيح والحب الطاهر، والعقل هو الكاهن الذي يقوم بشرف الخدمة هناك !

(القديس إسحق السرياني)